أدبيّات النّهوض

نصر ونهضة

مجتمع المقاومة

إرادة الشهادة وصناعة الانتصار

نعيم قاسم

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

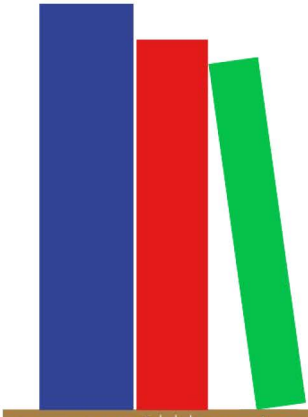

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
(الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

مجتمع المقاومة

إرادة الشهادة وصناعة الانتصار

اسم الكتاب: **مجتمع المقاومة** إرادة الشهادة وصناعة الانتصار

المؤلف: نائب أمين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم

الناشر: **معهد المعارف الحكمية** (للدراسات الدينية والفلسفية)

إخراج الكتاب: Idea Creation

عدد الصفحات: 108

القياس: 14.5*21.5

تاريخ الطبع: أيار ٢٠٠٨

مجتمع المقاومة

إرادة الشهادة وصناعة الانتصار

نعيم قاسم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

[١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م]

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah
العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي
تلفاكس: ٥٤٤٦٢٢- ٠١ - Email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهـــرس

مقدمة ٥

كيف نبني مجتمع المقاومة؟ ٧

١ - مشروع المقاومة ٧
٢ - مجتمع المقاومة ٨
٣ - الشهادة طريق إلى الهدف ٩
٤- سبيل الله يشمل الحياة ١١
٥- سرُّ قوّتنا ١٣
٦- إنجازات المقاومة ١٥

المقاومة بين الإرادة الشعبيّة والقرارات الدولية ٢١

أزمات الإرادة الشعبية ٢٢
الخطة اليهودية ٢٣
خطة المقاومة ٢٥
المقاومة والحكم والجيش ٣١
القرارات الدولية ٣٢
المقاومة هي الحل ٣٥

دور "المقاومة الإسلامية" في تحرير جنوب لبنان وتأثير ذلك على الصحوة الإسلامية ٤١

١- بداية "المقاومة الإسلامية" ٤٣
٢- الجهاد والشهادة ٤٤
٣- مواجهة المشروع الصهيوني ٤٦
٤- أساليب المواجهة (أثناء الاحتلال لجنوب لبنان) ٤٧

٥- الانتصار والتحرير ٤٩
٦- المقاومة أو الديبلوماسية ٥١
٧- النموذج ٥٢
٨- التعاون ٥٤
٩- تباين الحركات الإسلامية ٥٥
١٠- الأمل الجديد ٥٥
١١- المشاركة السياسية ٥٦
١٢- التجارب الذاتية ٥٧
١٣- الصحوة نحو الانتصار ٥٨

موقعية المرأة في جهاد المقاومة ٦١
أولا - التفاعل مع الشهادة ٦٢
ثانياً- مشاركة المرأة في المقاومة ٦٣
ثالثاً - التعبئة ٦٤
رابعاً - المسؤولية والدور ٦٥
خامساً - تأمين الخلفية ٦٦
سادساً - الضعف قوة في مجاله ٦٧
سابعاً - الأنسنة والمسار الإسلامي ٦٨
ثامناً - المقاومة واجب ٦٩

المرتكزات السلوكية للمقاصد التربوية عند حزب الله ٧٣
أولاً: التربية الجهادية ٧٥
ثانياً: ولاية الفقيه ٧٨
ثالثاً: حب الرسول (ص) وآل البيت (ع) ٨١

رابعـــاً: الأنشطة الاستقطابية ٨٤
خامساً: أنشطة قرآنية ٨٦
سادساً: التثقيف والتربية ٨٨
سابعاً: مواجهة التحديات ٩١
ثامناً: الخطاب السياسي ٩٣
تاسعاً: الانتصار نموذجاً تطبيقياً ٩٥
١- المقاومة حالة تربوية متجذِّرة ٩٦
٢- التأسيس والتأصيل ٩٧
٣- القوة المتراكمة ٩٨
٤- حتمية المواجهة ٩٩
٥- نماذج المقاومين ١٠١
٦- ميزان المعركة ١٠٢
٧- الوعد الصادق ١٠٤
صدر للمؤلف ١٠٧

مقدمة

برز حزب الله بفرادته وأدبياته في فترة تاريخية حساسة تعيشها منطقتنا، فقد تحوّل العالم إلى أحادية القطب الاستكباري الأميركي بعد سقوط التوازن الدولي بسقوط الاتحاد السوفياتي، وعادت منظومة السيطرة العسكرية على الدول الصغرى إلى الواجهة من خلال احتلال أفغانستان والعراق، ورُسمت صورة الشرق الأوسط الجديد بمحورية الاحتلال الإسرائيلي كقوة معتدية تفرض حضورها ومشروعها وتوسعها على حساب الفلسطيني وشعوب المنطقة، ولم يبقَ من دول الممانعة والصمود إلاّ القليل القليل، حيث تصدرت الجمهورية الإسلامية الإيرانية الفتيّة دور الدعم لقوى التحرر والممانعة لمشاريع الاستعمار الجديد، ووقفت الجمهورية العربية السورية إلى جانب قوى المقاومة وتصدّت لمحاولات ضربها.

انطلق حزب الله بمقاومته الإسلامية في لحظة انعطافٍ تاريخية خطرة، عندما أرادت إسرائيل ومن ورائها أميركا والمنظومة الاستكبارية الدولية أن تسدِّد الضربة القاضية للمقاومة الفلسطينية في اجتياح حزيران ١٩٨٢، والتزم مشروع إحياء مقاومة العدو الإسرائيلي المحتل كأولوية على كل ما

عداها، ووضع رؤيته الفكرية السياسية الجهادية المتكاملة، منطلقاً من الإسلام كعقيدة وشريعة، وقيادة الولي الفقيه كضمانة لاستقامة المسار ومشروعيته، والعمل الجهادي المقاوم لامتلاك القوة القادرة على مواجهة المشروع الأميركي الإسرائيلي. وقد صدرت أول صياغة رسمية لهذه الرؤية في الرسالة المفتوحة إلى الشعب اللبناني في ١٦ شباط ١٩٨٥، ثم كانت محطات عديدة للحزب كمشاركته في الانتخابات النيابية عام ١٩٩٢، وتصديه للعدوانين الإسرائيليين في تموز ١٩٩٣، ونيسان ١٩٩٦، واحتفاله بالتحرير الكبير في ٢٤ أيار ٢٠٠٠، وانتصاره الإلهي الاستراتيجي في تموز ٢٠٠٦، وفي كل هذه المحطات عبّر حزب الله عن رؤيته وأهدافه، وتوفّق بالنجاحات الباهرة لأطروحته، ما أكّد مصداقيته وسلامة منهجه، فأصبح الحزب الأدق تنظيماً، والأكثر شعبية، النموذج الذي يرغب الثوار والأحرار أن يقتدوا به.

إنّ كلّ مراقب لخطاب الحزب العقائدي والسياسي والجهادي والاجتماعي يتلّمس بوضوح: ثبات الموقف، وصدق المقال، وفعالية التعبئة، ودقة قراءة وفهم الواقع، وحسن استشراف المستقبل، ونجاح ترتيب الأولويات، وفهم عوامل القوة والضعف لمواجهة التحديات. وقد اخترتُ لهذا الكتاب خمسة محاضرات أُلقيت في مناسبات مختلفة وفي أوقات متباعدة، كمساهمة في التعبير عن هذا الخطاب، ولتبيان بعض الأسس والمنطلقات والرؤى التي نعتمدها في أدائنا السياسي والجهادي كمقاومة إسلامية، لإظهار وضوح معالم الطريق بالنسبة إلينا في اتجاهنا نحو أهدافنا، وهذا ما يتلمسه القارئ بوضوح من تاريخ المحاضرة وما حصل بعدها.

تحدثت المحاضرة الأولى عن كيفية بناء مجتمع المقاومة، حيث يتكامل الجهادي العسكري في مواجهة إسرائيل مع اندماج كل شرائح المجتمع في تبني وحضانة مشروع المقاومة، لنكون أمام مجتمعٍ متماسكٍ يصعبُ عزلُ

مجموعة منه عن غيرها، كما يحمل همّ وعبء التحرير والاستقلال، فيتمكن بذلك من التصدي للعدو بقوة أكبر، ويؤسّس بذلك لمشروع الجميع بدل مشروع الجماعة.

وأجرتْ المحاضرة الثانية مقارنة بين الإرادة الشعبية والقرارات الدولية، لتثبت أن الإرادة الشعبية قادرة على تحدي القرارات الدولية الجائرة بحق الشعوب، وأنّها قادرة على إنجاز ما لا تنجزه القرارات الدولية، وهذا ما يتطلب إعداداً جيداً، ومعرفة لأهدافنا وأهداف العدو، لنطال نقاط ضعفه بنقاط قوتنا.

عبّرت المحاضرة الثالثة عن دور المقاومة الإسلامية في تحرير الجنوب وأثرها على الصحوة الإسلامية، وقد ألقيت في جمع من المبلغين والعلماء، وبيّنت الفهم الأصل لرؤية الإسلام، وقدرتها على مواكبة الحياة، بقيام حزبٍ استطاع أن ينطلق من بيئة اجتماعية وسياسية معقّدة في لبنان، ليحقّق أول تحرير من نوعه في العام ٢٠٠٠ على العدو الإسرائيلي المتغطرس، وفي المحاضرة تأكيد على أهمية الوحدة الإسلامية، وقبول الآخر، وأخلاقية الإسلام في التعامل الاجتماعي، ودور الإعداد العسكري في المقاومة الناجحة ضد المحتل، إلى جانب كل أنواع المقاومة الثقافية والسياسية وغيرها.

ولا يخفى دور المرأة في إنجازات المقاومة الإسلامية، ولذا عرضنا للمحاضرة الرابعة عن المرأة في محاولة لشرح النموذج الحي والفعلي في لبنان، وذلك من خلال توصيف الشواهد والأمثلة، مع تبيانٍ لبعض الأسس الفكرية في دور وجهاد المرأة من منظور حزب الله، بناء على ما قررته الشريعة السمحاء.

أمّا المحاضرة الخامسة فتناولت المرتكزات السلوكية للمقاصد التربوية عند حزب الله، وفيها توضيحٌ للخلفية العقائدية والثقافية الإسلامية التي طبعت حركة حزب الله على المستوى التربوي، ما انعكس بوضوح في الجانب

السلوكي عند مختلف الفئات العمرية التي التحقت بأنشطة الحزب المتنوعة. وقد أفردنا فقرة كاملة عن الانتصار في العام ٢٠٠٦ كنموذج تطبيقي لهذه المرتكزات السلوكية، فنكون بذلك قد جمعنا بين الرؤية النظرية ومفرداتها التطبيقية، لنقدِّم بذلك نموذجاً مكتوباً يستفيد منه الباحثون والمفكرون والراغبون بالاقتداء بهذه المسيرة الجهادية المعاصرة.

أسأل الله تعالى التوفيق الدائم لهذه المسيرة الجهادية للمقاومة الإسلامية، التي ثبّتها وحصّنها ورواها العلماء الربّانيون والشهداء الأبرار والمجاهدون والمجاهدات من أبناء أمتنا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٨ صفر ١٤٢٩هـ

١٦ شباط ٢٠٠٨م

نعيم قاسم

المحاضرة الأولى

كيف نبني مجتمع المقاومة؟

كيف نبني مجتمع المقاومة*؟

لا بدّ في البداية من توجيه تحية خالصة للشهداء الذين عبّدوا الطريق وعرّفونا معنى الحياة، فقد كنّا نقرأ عن الحياة ونستلهم من التاريخ عِبَره، لكننا بعد أن عِشنا معهم أصبحنا أكثر إدراكاً لمعنى الحياة، هكذا فهمناهم، وهكذا عرّفونا الشهادة، ونخصُّ بالتحية شهداء المقاومة الإسلامية الأبرار، وسيدهم السيد عباس الموسوي(رض) وشيخهم الشيخ راغب حرب(رض)، وعلى رأسهم جميعهم محيي النهضة والجهاد الإمام الخميني (قده).

١ - مشروع المقاومة

ليست المقاومة ردّة فعلٍ اعتباطي أو عاطفي، بل هي مشروع تحرير وممانعة، هكذا أردناها، وهكذا بدأناها.

ولعلّ الالتباس الحاصل عند الكثيرين عن هذا المعنى للمقاومة، إنما هو ناشئ عن بعض التجارب التي حاولت أن تستخدم المقاومة بطريقة ظرفية

---

* الكلمة التي أُلقيت في افتتاح مؤتمر قيم المقاومة – خيار الشهادة والحياة، الذي أقامه معهد المعارف الحكمية بالتعاون مع دار الهادي، في فندق الماريوت، بيروت، ٢٠٠٧/٠٥/٢٣.

تُبعدها عن أسسها وجذورها، وتُدخلها في حالةٍ يومية تتماهى فيها مع تطورات الموقف وتكتيكات السياسة.

هذه المقاومة التي قامت في لبنان، كنتاج طبيعي لتجربة غنية من مقاومات سبقتها، فأخذت منها، وجدّدت في أدائها، فأتقنت ما استلهمته من عِبَر، وأصّلت ما اكتشفته من تجربة، بناءً على المنطلقات الثقافية والفكرية التي انطلقت منها هذه المقاومة. نحن نرفضُ أن تُنزع مقاومتنا الإسلامية من سياق الفعل المقاوم في منطقتنا وفي العالم، بل نرفضُ أن تُنزع من سياقها التاريخي الممتد إلى الأنبياء والرسل والأحرار، لأنّ الرفض والممانعة ومواجهة الاحتلال أعمالٌ مطلوبة لمن تجلّت الإنسانية في شخصهِ وفكرهِ وأدائه.

على هذا الأساس، فإنّ مقاومتنا الإسلامية والوطنية حقٌ مشروع، لأنّها تمثّل الدفاع عن الوجود والقرار الحر، وتكون ترجمتُها من خلال إخراج المحتل من أرضنا ويجب حمايتُها كي لا يعود مجدداً إليها، فهي ليست عملاً آنياً بردّة فعل، إنما هي عملٌ يؤصّل الممانعة والمواجهة.

٢ - مجتمع المقاومة

المقاومة بالنسبة إلينا، هي رؤيةٌ مجتمعية بكل أبعادها، فهي مقاومةٌ عسكرية، وثقافية، وسياسية، وإعلامية، هي مقاومةُ الشعب والمجاهدين، ومقاومةُ الحاكم والأمة، ومقاومةُ الضمير الحر في أي موقع كان، ولذلك كنّا ندعو دائماً لبناء مجتمع المقاومة ولم نقبل يوماً بمجموعة المقاومة، لأنّ مجتمع المقاومة يحمل الاستمرارية، أما مجموعة المقاومة فأداؤها ظرفي. وبما أنّنا انطلقنا من جذور الإنسان في حريته، فلا بدّ أن تمتدّ حريته للتواصل مع بني الإنسان، وإلاّ أصبح في جزيرةٍ معزولة، وهذا ما لا نريده، وهي ليست مقاومتنا، فمن كان يطارد مجموعة المقاومة سيتعب كثيراً لأنه سيواجه مجتمع المقاومة.

برز هذا الأمر بشكل جليّ أثناء حرب إسرائيل الواسعة في تموز ٢٠٠٦ على لبنان، والتي ردّ عليها لبنان بالوعد الصادق، فكان المقاتلُ في الجبهة محميًا بالمرأة تحمل عذابات التهجير، وبالطفل يحمل أمل المستقبل، وبالشيخ يفتّش عن الرعاية والإطعام، وبشعب لبنان الأبي الذي أثبت للعالم أنّ كل حبة تراب وأرض فضلاً عن الروح والدم هي مقاومة، في كل بقاع لبنان وليس في بقعة واحدة. هذا نموذجٌ لمجتمع المقاومة، فلو لم تكن المقاومة في ضمائر هؤلاء الناس لما رأيناها في كل بقعة من بقاع لبنان، ولا تستقيم مقاربة الاحتضان الشعبي بالشفقة على المهجرين، فأثناء عدوان تموز لم يكن هناك مهجرون، إنما أبطال انتقلوا من مكان إلى مكان آخر، فتلقّاهم الصامدون من الشعب اللبناني في بيوتهم وبلدانهم، تعزيزاً لبطولة من قاتل في بنت جبيل ومارون الراس والجنوب.

٣ - الشهادة طريق إلى الهدف

نعم، نحن نؤمن بالشهادة، لكنّنا نؤمن بها طريقاً لتحقيق الهدف، فهي تتطلّب رعايةَ ضوابط دقيقة للوصول إليها، ومخطئ من يظن أنّ هدفنا الشهادة، لأنّ هدفنا هو سبيل الله تعالى، والشهادةُ طريقٌ إلى هذا الهدف، كما إنفاقُ المال طريقٌ إلى هذا الهدف، وكما الاستقامة طريقٌ إلى هذا الهدف. بناءً عليه، عندما نؤمن بهذه الشهادة طريقاً إلى الهدف، نُخرجها عن دائرة التصلُّب والعصبية، ونُبعدها عن كونها هدفاً بحد ذاته، لأنّ من اتخذها هدفاً ضاع وضيّع الطريق، إذ أصبح يبحث عن الموت كيفما كان. هذه الشهادة استطاعت أن تدفعنا إلى المقدّمة، وأعادت لنا بُنية تربيتنا، هي ضد المحتلين والظالمين، وهنا يجب التمييز بين الاستعداد للشهادة والإقدام عليها، فليس المقصود من ثقافة الشهادة أن تنحصر حركة المؤمنين في اتجاه السعي للشهادة وإنّما في اتجاه توفر الاستعداد الكامل للتضحية بالنفس، عندما يتطلّب الموقف ذلك. وهنا، تمثّل الشهادة آخر خطوة بعد استنفاذ كل الجهود، لتكونَ السلاح الأمضى في المواجهة في حال عدم تكافؤ القوى، فتحقق النتيجة الفعالة للدفاع

المشروع عن الموقع وتحصين الهدف.

فالشهادة مع كونها أمنية القرب الأرقى من الله عز وجل، لكنّها مقيّدة بالزمان والمكان المناسبين، هي جزء من التكليف الشرعي بضوابطه، وتصبح واجبة عند انحصار الخيارات بها، كما حصل مع الإمام الحسين(ع) عندما قال: "**إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برَماً**"[1]، إذ انحصرت خياراته بإثنين هما: الموت العزيز أو الاستسلام الذليل، وكان لا بدّ من أحدهما، فاختار الشهادة بعزة، على الاستسلام للظالمين بذلّ.

هذا الإمام العظيم، سيد الشهداء الذي قاتل في كربلاء، هو الذي صبر مع أخيه الحسن(ع) خلال حكم معاوية، لأنّه كان يرى خيارات أخرى قبل الوصول إلى خيار الشهادة، وبما أنّ أمانة النفس الإنسانية عظيمةٌ عند الله، لا يمكن لأي إنسان أن يستهتر بها، ولا أن يتسرّع في زجّها في مواقع الخطر والموت، أو أن يتّخذ قراره بالشهادة في كل حادثةٍ أو صعوبةٍ تواجهه. فالعطاءُ النبيل للشهادة، وثمرة الدفاع المشروع في التوقيت والزمان المناسبين، يجب أن يكون بقرار من القيادة الشرعية الحكيمة المسؤولة التي تحمل مسؤولية الدماء، إذ لا يستطيع أي فرد من الأفراد أن يذهب ويقدّم نفسه كيفما كان، بل يجب أن يكون جزءاً من المقاومة، وجزءاً من المشروع المجتمعي العام، وجزءاً من علامات الانتصار، وإلاّ فَقَدَ الاستشهادي معنى شهادته إذا انعزل عن قيادته وجماعته، إذ أنّ المطلوب توحيد الجهود، وأن تتّجه لتصيب مرامها، ثم تتراكم كي نصل إلى النتيجة المرجوّة من خلال الشهادة.

المقاومةُ تأسيسٌ لما بعدها، ولا تنتهي بانتهاء حياة المُقبِل عليها، لأنّها خطٌّ وليست أداءً آنياً يمكن أن ينتهي مع انتهاء الجسد، إذ تتراكم آثارها ومفاعيلها

١- تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٣٠٤.

في الأمة، فضلاً عن ربح الشهيد بحياته السعيدة الخالدة عند ربّه. إنّ الدرجة العليا للشهداء عند الله تعالى، تجعل الشهادة في هذه الموقعية والأهمية، وتحفّز المؤمنين للطموح إلى تحصيلها قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[1]، وفي الحديث الشريف عن رسول الله (ص): "**فوق كل ذي برّ برّ، حتى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برّ**"[2]. وفي خطبة السيدة زينب (ع) في مواجهة ابن زياد قالت: "**الحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة**"[3]، فالشهادة خط متواصل مع الحياة الحقيقية.

إنّ الانتصار على النفس بالاستعداد للشهادة يختصر طريق الصراع مع النفس الأمّارة بالسوء ليحوّلها إلى نفسٍ مطمئنة، ويرقى بالإنسان إلى أعلى درجات الاستقامة، ويساعده في استيعاب دوره ومكانته في هذه الدنيا كمعبرٍ إلى الآخرة. وبما أنّ الموت مرتبط بالأجل، والأجل بيد الله تعالى، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[4]، فخيرٌ للمرء أن يختار طريقاً يمكن أن يوفّقه للشهادة، من أن يموت على فراشه، وهو قادرٌ أن يصنع طريقه إلى الموت من أجل الحياة، إذا وفّقه الله تعالى لذلك.

٤- سبيل الله يشمل الحياة

هذه الشهادة هي جزء من مشروع سبيل الله، ولعلّ البعض لا يعرف تماماً معنى هذه العبارة التي نستخدمها دائماً، مفهوم سبيل الله تعالى هو مفهوم

١- سورة التوبة، الآية: ٢٠.

٢- الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ٢٤٨.

٣- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص: ١٣٥.

٤- سورة النحل، الآية: ٦١.

واسع يستوعب الحق الإنساني، والنُّبل، ورفض الظلم والعدوان، هو مفهوم لا يترك مفردة إيجابية في حياة الإنسان إلاّ ويتطرّق إليها، هو رفضٌ للاتجاه السلبي للباطل والانحراف والعدوان والقهر.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1]، فلم يحصر الأمر في الآية الكريمة بالجهاد، وإنما تحدّث عن الجهاد بسعته في الحياة العامة للناس والتي تشمل كل مفردات الحياة في الأنفس والأموال، وفي حديثه عن الجهاد في سبيل الله تعالى قال تعالى أيضاً: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[2]، حيث لا تكون النتيجة سريعة في الجهاد والمقاومة، فتتطلب صبراً وعطاءً، كمّا حدّثنا عن نماذج عدة في سبيل الله تعالى قال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3]، وقال عن الذين لا يعملون في سبيل الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[4].

إذاً، فالموضوع أشمل بكثير من مجرد القتال، وهذا ما يعني أنّنا عندما نتحدث عن سبيل الله، لا يقتصر الأمر على الخصوصية الدينية التي لها علاقة بعباداتنا، وإنما يمتد امتداد الإنسانية في حياة الإنسان.

من هنا يتمازج حب الوطن والموت في سبيل الأرض كتعبير من تعابير سبيل الله، بامتزاج يصعب انفكاكه عن سبيل الله تعالى، فلا يمكنك القول لمن مات في سبيل وطنه، ودافع عن أرضه وبيته، واستحضر سبيل الله، بأنه خارجٌ عن

١- سورة الحجرات: الآية: ١٥.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.

٤- سورة لقمان، الآية: ٦.

هذه الدائرة، لأنّ سبيل الله ممتدّ في الحياة.

جاء أعرابيّ إلى رسول الله (ص) وقال له: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله(ص): "**من قاتل لتكون كلمة الله هي أعلى فهو في سبيل الله عزّ وجل**"[1]. وكلمة الله أعلى يعني الحق والاستقامة والتحرير والوطن وكل هذه المعاني التي ذكرناها.

هنا يتشوّق المرء إلى الشهادة، وربما عاش عقدةً بسبب عدم حصوله عليها، لكنّ رسول الله (ص) يبشّره: "**من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**"[2]. لأنّه بنى فكره ومشروعه على قاعدة هذا السبيل الحر الوطني والإيماني الذي يوصل إلى طرد المحتل.

٥- سرُّ قوّتنا

نصل إلى قيم الشهادة، فهي ثقافة الحياة الحقيقية والعزيزة في مقابل ثقافة الموت، قيم الشهادة نبيلة، فالشهادة حياة، والتبعية والذلُّ موت. السيادة حياة، والوصاية موت. تحرير الأرض حياة، والخضوع للاحتلال موت.

قال الإمام علي(ع): "**فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين**"[3]، هكذا نفهم الحياة.

على هذا الأساس تأتي المواجهة بين الحق والاستقامة والتحرير والفضيلة والعدالة، في مقابل الظلم والعدوان والاحتلال والفساد والطغيان، عندما لا تملك الأمة أو الثلّة المخلصة فيها القدرة المادية والعسكرية لمواجهة الكثرة

١- صحيح البخاري، ج٣، ص: ٢٠٦.

٢- صحيح مسلم، ج٦، ص: ٤٩.

٣- نهج البلاغة، الخطبة: ٥١، ص: ١٤١.

وإمكاناتها، وعندما تقف الأمة أمام خيارين: إمّا الاستسلام وإمّا الربح والوقوف والصمود، حينئذٍ لا بدّ من اختيار الصمود مهما كانت كلّفته، وهنا يأتي دور الجهاد ودور الشهادة.

فالشهادة إذاً، تعالج خلل التوازن في الإمكانات، ومع الاستعداد للشهادة يبطل مفعول القوة بالتخويف بالقتل والموت، ما يعطي قوة إضافية للمؤمنين، ويربك العدو العاجز عن إخافتهم، ويقوّي عامل الرفض في الأمّة، ما يجعلها عصيّة على مؤامرات الأعداء، ولا نبالغ عندما نعطي هذه القيمة الكبيرة للاستشهاد، لأن التجربة الواقعية قد أثبتت فعالية هذا الخيار. وهنا لا أكشف سراً عندما أقول: اكتشفنا سرّ قوتنا، كما اكتشفوا سرّ قوّتهم، اكتشفنا أنّ سر قوّتنا بالجهاد والمقاومة والمواجهة العسكرية والشهادة، وهذه المعاني مليئة بالإنسانية والحق، واكتشفوا سرّ قوّتهم بالتقنية والقدرة العسكرية والتقدم التكنولوجي، واجتمعوا على قوّتهم بالظلم والطغيان.

هنا حصلت المواجهة بين سرٍّ قوتنا وسرٍّ قوتهم، فاستطعنا بسرّ قوتنا أن نهزم سرّ قوّتهم، لأنّ قوّتنا حقّ إنساني مع شهادة، أمّا قوتهم فمادةٌ وإمكانات مع جبن وخوف. وهكذا تبيّن أنّ سرّ قوّتنا ينتصر على سرٍّ قوّتهم إذا عرفنا كيف نُرَاكِمُ هذا السّر في داخل الأمة، لأنّ المسألة مرتبطةٌ بالاستعداد، وعلينا أن نُرَاكِمَ بُنيان الشهادة لمواجهتهم، وفي كل مراحل التاريخ كان الإنسان ينتصر دائماً على القوة والمادة عندما تكون عنده الإرادة، وعندما يرتبط بالله تعالى.

وهذا ما يفسّر السؤال الذي كان يُطرح دائماً، لماذا لا ننتصر طالما أنّ عندنا هذه المعاني وهذا السرّ؟ وهنا أؤكد على ضرورة مراكمة هذه الإمكانية لمواجهة التراكمات الأخرى. وحذارِ أن نذهب إلى سرّ قوّتهم لنتمثّل بها، لأنّهم إذا جرُّونا لنعادلهم برمز قوّتهم سنفشل. علينا أن نأخذ من سرّ قوّتهم ما يعمّق قوّتنا بالشهادة، لا أن نُلغي سرّ قوّتنا لنندمج في أطروحتهم، وإلاّ نخسر. يجب أن

ننتبه بأن لا نقع أسرى ما يحاولون جرّنا إليه، كأن يقولوا لنا: احصروا عملكم بالسياسة وهم متحكّمون بها، أو يقولوا: ليكن مقياسكم وطريقتكم التفاوض وهم مسلّطون على مقوّمات وسلطة التفاوض، أو يقولوا: لنرى من هو أقوى وهم يتميزون بالقوة.

هنا علينا أن نجرّهم إلى سرّ قوّتنا من أجل أن نُضعف موقعهم ومكانتهم، فقد نحصل على اعتراف بحقّنا ووجودنا، عندها نحصل على السيادة بلغة القوة لا بلغة الاستجداء، فالاستجداء طريقهم للنصر علينا، أما القوة فطريقٌ لنصرنا بإرادتنا وعزيمتنا.

٦- إنجـازات المقـاومـة

في ضوء ما تقدّم، يُطرح أمامنا الخطر الكبير الذي تعاني منه منطقتنا، فإسرائيل عدوٌ شرس، وخطرٌ توسُّعي لن يكتفي بفلسطين، وإنما يريد أن يمتد إلى العالم العربي والإسلامي، بل إلى العالم. وأميركا خطرٌ استعماري طويل المدى، ومجلس الأمن ألغى وظيفته لحفظ السلام العالمي وأصبح موظفاً في خدمة السلام الإسرائيلي، وهو يسخّر العالم لسلام إسرائيل.

معنى ذلك أنّنا أمام مصيبة دولية حقيقية على مستوى الإنسانية، كيف نواجه هذا الاحتلال؟ يجب مواجهة هذا الواقع بكل أنواع المقاومة وعلى رأسها المقاومة العسكرية.

هذه المقاومة أنجزت تحريراً للأرض، واستطاعت بحمد الله تعالى أن تقدّم لنا مجموعة من العناوين والقواعد المهمّة جداً في منطقتنا، أذكر خمسة منها كإنجازات تحققت:

أولاً: أبرزت المقاومة معادلة القدرة الكامنة الموجودة في أمتنا لرفض الاحتلال.

ثانياً: أعادت المعنويات لمنطقتنا في مواجهة الإحباط وعدم الثقة بالقدرة على التغيير.

ثالثاً: إعادة إحياء المقاومة الفلسطينية في هذا الشعب الفلسطيني الأبيّ والشجاع.

رابعاً: أثبتت صلابة الممانعة لمواجهة مشروع الشرق الأوسط الجديد.

خامساً: نقلت المقاومة لبنان من الدولة الضعيفة إلى الدولة الصامدة، ونحن نريد أن نتابع لتنتقل إلى الدولة القادرة إن شاء الله تعالى.

ما الذي تحقق بالمقارنة بين المقاومة والعمل السياسي؟

المقاومة حقّقت إنجازات عظيمة أمّا العمل السياسي لاستعادة الأرض وصدّ العدوان فلم يحقّق شيئاً، كنّا نقول دائماً بأنّنا سنصبر من أجل أن نتابع خطواتنا وليتابعوا خطواتهم، لكنّ تبيّن بأنّ خطواتهم فاشلة.

هنا، المقاومة أثبتت جدواها، ولم يعد السؤال، هل ستبقى المقاومة أم لا؟ لأنّ الظروف تستدعي بقاءها، بل السؤال، كيف ينخرط المجتمع في المقاومة؟ ومن أجل أي مشروع لا يريد البعض استمراريتها؟

وهنا سؤال آخر، هل يستطيع لبنان تحمل تكلفة المقاومة؟ وأنا أسأل: هل يستطيع لبنان تحمل تكلفة الاحتلال ومفاعيله؟ ليس النقاش حول المقاومة وسلاحها، بل أي لبنان نريد؟ إذا أردنا لبنان السيد الحرّ المستقل، إذاً، يجب أن يكون قادراً للدفاع عن نفسه، لدينا المقاومة كقدرة دفاعية جاهزة، فلنعمل على تقوية الجيش اللبناني، ولنضع استراتيجية دفاعية تستفيد من عوامل القوة المتوفرة ، لتنظّمها بطريقة تحقّق الهدف.

تعالوا نتّفق لبناء الدولة القادرة العادلة، فإنّ من الخطإ أن نتخلّى عن أسباب قوّتنا، من هنا نؤكد أن لا تعارض بين الدولة والمقاومة، لأنّ اتجاه المقاومة هو

الدفاع عن الأرض ومواجهة الاحتلال وهو في صلب اهتمام الدولة، فالمقاومة تُعتبر سنداً للدولة وليست منافسة لها، المقاومة تعتبر دعماً للدولة وليست بديلة عنها. نأمل أن تتوقف حرب النظارات المقفلة لمصلحة لبنان واللبنانيين.

أختم بالشكر الكبير لمعهد المعارف الحكمية ولدار الهادي على إتاحة مثل هذه الفرصة لهذا المؤتمر الكبير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الثانية

المقاومة بين
الإرادة الشعبيّة والقرارات الدولية

المقاومة بين الإرادة الشعبيّة والقرارات الدولية*

السلام عليكم يا محبي المقاومة وعاشقي الأرض المحررة..

أبدأ بالشكر للإخوة المسؤولين في "ندوة العمل الوطني" على إتاحة هذه الفرصة للحديث معكم ولتبيان بعض الآراء التي اخترناها، أو التي برزت من خلال أدائنا، ملخّصاً لها بما ينسجم مع طبيعة العنوان "**المقاومة بين الإرادة الشعبية والقرارات الدولية**". وعندي في البداية ملاحظات ثلاث:

الملاحظات الثلاث

أولاً: المقاومة هي تجسيد للإرادة الشعبية في رفض الاحتلال، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصنّف هذه المقاومة في دائرة جماعة أو طائفة، إنما نعتبرها ممثلاً حقيقياً للشعب، لأنها تنطلق من فكرة التحرير للأرض، والأرض للجميع، ويجب أن يكون الجميع للأرض، فإذا قصّر البعض في انتمائهم للأرض، فعلى الآخرين أن يأخذوا بأيديهم حتى تكون الأرض لنا جميعاً لا لفئة منا.

(*) محاضرة نائب الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ نعيم قاسم، ألقيت في "ندوة العمل الوطني"، بيروت، بتاريخ: ١٩٩٩/٤/٢٩ م.

ثانياً: إننا نوسّع معنى الإرادة الشعبية لتشمل الحكومة والناس والجيش وكل القوى الفاعلة دون أن نقسّم الوطن الى مجموعات، سواء أكانت هذه المجموعات داخلة في تصنيف الموالاة أو المعارضة أو داخلة في تصنيف التمايز الدائم المرغوب بين الشعب والحكومة عادة، فنحن نقول عندما نطلق معنى الإرادة الشعبية: نفتخر أننا وصلنا في لبنان الى إرادة تمسّ كل مواطن، حتى عندما يحمل هذا المواطن لقب معالي الوزير، أو يحمل هذا المواطن لقب القائد الأعلى للجيش، أو يحمل هذا المواطن عنوان الإنسان العادي الذي يسير في الحياة اليومية.

ثالثاً: نعتقد أنّ الإرادة الشعبية في أي مجتمع، خاصة في مجتمعنا اللبناني، هي بخير، فإذا مرّت بأزمات ومآزق فالسبب يعود لثلاثة أمور أساسية:

أزمات الإرادة الشعبية

الأمر الأول: القوى والقيادات التي لم تُحسن استثمار هذه الإرادة الشعبية في مكانها المناسب فضلّتها وأساءت إليها وأدخلتها في نزاعات جانبية، فضيّعت عليها الأولويات.

والأمر الثاني: الثقافة السائدة، التي كانت ثقافة تُبعد لبنان عن مسؤولياته تحت حجة أنّ "قوة لبنان في ضعفه"، فيجب أن يزداد الضعيف ضعفاً حتى يزداد حاجة للآخرين، وحتى يعيش على فتاتهم؛ الى أن تعدّلت هذه الثقافة فتغيّر الواقع على المستوى الميداني.

والأمر الثالث: الضغوطات السياسية الخارجية، التي تتعاطى مع لبنان كأداة تنفيذية لمشاريع الآخرين دون أن تحسب حساباً لإرادة هذا الشعب ومتطلباته، التي يفترض أن تتقاطع مع متطلبات الآخرين لا أن تكون في خدمة الآخرين كيفما كانت النتائج.

بعد هذه الملاحظات الثلاث، التي نفهم من خلالها معنى الإرادة الشعبية، يعلم الجميع بأنّ ظروف الاجتياح سنة ١٩٨٢ أثّرت بشكل كبير على الوضع في لبنان وفي المنطقة، فسَادَ إحباطٌ عام، ويأس عام من إمكانية مواجهة "إسرائيل".

في هذه الفترة بالذات، بدأنا نعمل بشكل جدّي على تغيير هذا الواقع، واعتُبرت المقاومة بنظر البعض محاولة يائسة، وبنظر البعض الآخر هي رفع عتب من أجل أن يسجّل الحزب الفلاني في يوم من الأيام بأنه مقاوم، أو أنها عبء ثقيل لا يجوز للبنان أن يتحمله بأي شكل من الأشكال. وبدأت التنظيرات المختلفة التي تؤذي وتضرّ، فلم يكفِ الإحباط العام الذي كان موجوداً في لبنان، بل دخلت على الخط عناوين إضافية تساهم في هذا الإحباط بشكل أو بآخر.

اعتبرنا أنّ واجبنا هو الصبر، وأن نزرع زرعة المقاومة، ولا بد أن يعي الناس في يوم من الأيام معنى ما نقوله، خاصة أنّ البداية كانت بسيطة ومحدودة، ولا يمكن بسرعة أن تقلب الموازين الثقافية أو السياسية أو أن تعمِّم مفهوم المقاومة. لذا، كان الأمر يتطلّب منا صبراً وتحملاً؛ حتى أنّ بعض إخواننا كانوا يُطردون من بيوتهم من قِبل أهاليهم عندما يقاومون ، لأنهم يعتبرونهم على خطى مَن كان قبلهم من المقاومة الفلسطينية، التي تركت بعض الآثار السيئة في بعض المواقع إلى درجة الاعتقاد بأنّ هؤلاء يقاومون من أجل الآخرين ولا يقاومون حقيقة من أجل كرامة الأرض أو كرامة الإنسان.

ومع ذلك، كنا أمام خطتين: خطة يهودية في كيفية التعاطي مع المقاومة، وخطة للمقاومة في كيفية التعاطي مع اليهود ومع الواقع اللبناني القائم.

الخطة اليهودية

أما الخطة اليهودية، فكانت تتمحور حول نقاط الفتنة الثلاث:

النقطة الأولى: إيجاد الفاصل بين المقاومة والناس، ليبقى الناس في حالة رفض للمقاومة، بحيث تنعزل هذه المقاومة في إطار حركة مسلحة يمكن القضاء عليها بالفتنة الشعبية مع المقاومة، ثم يساهم التدخل الخارجي في الوصول إلى هذه النتيجة.

والنقطة الثانية: إيجاد الصراع بين المقاومة والحكم، بحيث تؤكد الدولة بأنها مسؤولة، وكيف تكون مسؤولة وهي لا تسيطر على المقاومة؟ وكيف تتحرك المقاومة بدون إذن أو ترخيص من الدولة لمقاومة المحتل؟ هل يعقل أن يقبل الحكم بأن تكون المقاومة خارجة عن دائرة القوانين والأنظمة المرعية الإجراء؟ إذاً، لا بد من إيجاد شرخ بين المقاومة والحكم، حتى يتمكن الحكم من اتخاذ إجراءات تريح "إسرائيل" في مواجهة المقاومة.

والنقطة الثالثة: إيجاد الشرخ بين المقاومة والجيش، فالجيش هو القوة المسلحة التي تحمي الأرض ضد الأعداء.

إذاً، ماذا تصنع المقاومة في مناطق نفوذ الجيش؟ وكيف يمكن أن تعمل على الأرض وتصبح قوة مسلحة في مواجهة قوة مسلحة أخرى، هذا ما يضرُّ بمعنويات الجيش..؟ فلا بد – إذاً – من أن يأخذ الجيش دوره في حماية الوطن، وأول حماية للوطن أن "ينظف" الوضع الداخلي حتى يتفرغ فيما بعد لقضية التحرير ضد العدو الإسرائيلي.

هذه النقاط الثلاث كانت محور الحركة الإسرائيلية، وكنا نعلم تماماً كيف يفكرون وكيف يخططون من خلال تصريحاتهم، ومن خلال تحليلاتنا، ومن خلال المعطيات التي توفرت لدينا.

إذاً، يجب أن تأخذ خطة المقاومة بعين الاعتبار عملاً مخالفاً تماماً، وبطريقة معاكسة لهذه النقاط الثلاث، حتى يُكتب لها النجاح لنسير باتجاه يختلف تماماً عن الاتجاه الذي يسيرون فيه.

خطة المقاومة

هنا بدأت خطة المقاومة، التي سأفصّلها ببنود عشرة، ما يكشف طريقة تفكيرنا، ولا أرى ضيراً في ذلك، كي يدرك الجميع بأنّ مقاومتنا لا تنطلق من رد فعل عادي وبسيط، بل تنطلق من رؤية كاملة، ولولا هذا لما تدرّجت في النمو، ولما تخطت العقبات الكثيرة التي مرّت بها.

أولاً: المقاومة وخطتها لا ينفصلان عن الرؤية التربوية التي تؤسس لهؤلاء الشباب، والتي تبني هؤلاء الشباب، نحن انطلقنا من قاعدتين قرآنيتين عظيمتين:

القاعدة الأولى هي الإعداد، يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[1]، ففهمنا من الإعداد، إعداد الاستطاعة لا إعداد التوازن العسكري، وبالتالي، فلو استطعنا من منطلق الإيمان أن نعدّ السكين فقط فواجبنا أن نتحرك بما استطعنا له، والله تعالى لا بد أن ينصرنا، أما كيف؟ فهذه تفاصيل لها علاقة بالإيمان بالغيب، وما يمكن أن يوفره الله تعالى من ظروف تؤدي إلى تدافع الآخرين فيما بينهم لتضعف قوتهم، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[2]، كما أننا في جبهة لا نقيس فيها إمكاناتنا في مقابل إمكانات الآخرين، بل نحن في جبهة تستخدم الإمكانيات التي توفرت لديها، وقد يُيسّر الله تعالى إمكانات كثيرة تُضعف من إمكانات العدو، ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾[3].

والقاعدة الثانية هي الاستعداد للشهادة، يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

١- سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

٢- سورة الحج، من الآية: ٤٠.

٣- سورة التوبة، من الآية: ٥٢.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾[1]، وواضح من الوعد القرآني للمؤمنين أنكم إذا قاتلتم على الإيمان قد تُقتلون وقد تَقتلون، بينما عادة بعض القادة أنهم يَعِدُون بالنصر لرفع المعنويات، لكن الله عز وجل يَعِدُ بالنصر أو بالشهادة، وبالتالي عندما يُقْدم الشاب على العمل، وهو مقتنع أنه قد يُقتل وقد يَقتل، فهو مهيّأ لكل الاحتمالات، فإذا تهيّأ لكل الاحتمالات فاز مهما كانت النتيجة، فإذا عاد سالماً منتصراً اعتبر أنّ غنيمته أكبر بكثير من غنيمة المنتصر؛ لأنه لم يُستشهد وانتصر في آنٍ معاً محققاً ما يريد من أهدافه على هذه الأرض، وإذا استشهد فقد فاز ونفع أمته بنصرها المستقبلي.

هذه التربية أدّت دوراً كبيراً في تنشئة شبابنا، وفي دفعهم إلى الخطوط الأمامية. قالوا عنّا كثيراً.. قالوا إننا ندفع المال للشباب، وقالوا إننا نعطيهم بعض الأدوية، وقالوا إننا نتصرّف بطريقة تنوّمهم مغناطيسياً أو تؤثّر على عقولهم، لأنّ ما صنعه هؤلاء الشباب ليس داخلاً في الحسابات المنهجية المادية، ونقرّ بأنّ الأمر ليس داخلاً في الحسابات المادية المنهجية؛ نحن انطلقنا من الإيمان، مع إمكانات مادية متواضعة، فحققنا ما حققناه بتوفيق الله تعالى.

ثانياً: الأولوية عندنا للمقاومة، فإذا ما تعارضت مع المكتسبات الداخلية، فنحن حاضرون للتنازل عن المكتسبات الداخلية من أجل المحافظة على المقاومة، وربما سمعتم خطابنا سنة ١٩٩٦ في الجنوب عندما تحدّث سماحة الأمين العام السيد حسن نصر الله، واعتبر أنّ الخطوات الانتخابية إنما كانت محكومة بسقف استمرارية المقاومة وقوة المقاومة، وكنا نعني ما نقول، وبالتالي هذه الأولوية ساعدت في اتجاه جمع قوّتنا الثقافية والمادية والعسكرية والسياسية لدعم هذا الاتجاه، ما حقق تقدّماً واضحاً في هذا الحقل، لأننا آثرنا أن نترك

١- سورة الأنفال، الآية: ١٧ .

تقاسم الجبنة حتى لا نفرق فيها، وقد غرق فيها الكثيرون، وغصّ البعض بها، وانتفخ البعض الآخر، لكن وجدنا أنّ أولوية المقاومة هي التي تخلّصنا من الكثير من المشكلات، وهذا ما ساعدنا على تحقيق الكثير من الإنجازات.

ثالثاً: انطلقنا من أسلوب أداءٍ يركّز على إيلام العدو، ويحقق راحة للناس، حتى ولو كلّفتنا راحة الناس كثيراً، إذ كنا نتجنّب أن نقصف من بين البيوت، ونتجنّب الاستعراض العسكري، لأنّ هذه الأعمال تحقق صورة إعلامية سياسية باهرة، لكنها في آنٍ معاً تؤدي إلى أذيّة الناس من دون إيقاع الخسائر في العدو، فاخترنا الوديان والجبال، واخترنا أن يذهب بعض شبابنا أحياناً لينام بالعراء في الأرض الجنوبية المحتلة أياماً، وفي بعض الحالات لأسابيع، من أجل إيلام العدو، لأننا نعتبر أنّ نقطة الوجع في "إسرائيل" هي مسألة الأمن، وليس هناك أية نقطة وجع أخرى، فلا بد أن نركّز عليها لنضرب الرأس المؤلم، وبعد ذلك تتهاوى الأعضاء ونستطيع تحقيق الإنجازات.

رابعاً: مشاركة الناس في آلامهم ومتطلباتهم، صحيح أنّ على الناس أن يساهموا، لكن وضعهم الصعب يجعلهم غير قادرين على المساهمة بالشكل الكافي، إذاً لا بد من خدمتهم، ولا بد أن نساعدهم في الإعمار، وأن نعطيهم بعض المساعدات الاجتماعية، وأن نفتح بعض المستوصفات، وأن نخدمهم بعلاقاتنا مع الدولة، من خلال النواب والوزراء والمعنيين، من أجل أن نحقق خدمة معيّنة للناس، لأنهم معنيون. وأسّسنا "مؤسسة الشهيد" التي تموّل الآن جميع عوائل الشهداء من دون استثناء، ومؤسسة للجرحى تشرف على معالجتهم وتطبيبهم، و"مؤسسة جهاد البناء" التي تساهم بعملية الإعمار.

وللعلم في عدوان ٩٦ هذه المؤسسة رمّمت ستة آلاف وسبعمائة وأربعة عشر منزلاً خلال ثلاثة أشهر، بفريق عمل ضخم جداً، وبكلفة محدودة جداً لا تتجاوز الخمسة ملايين دولار، على قاعدة أنّ المبذول هو المال والجهد والتضحية، ولا

أحد يسرق أموال المساعدات، لذا ظهر هذا الجهد كبيراً، وبشكل واضح. وللعلم فإنّ "مؤسسة الشهيد" اليوم، مثلاً، التي تصرف على عوائل أكثر من ألف شهيد تقريباً، تحصل على مساعدات من أشخاص بعضهم يتبنّون شهيداً واحداً، والبعض الآخر يتبنّى شهيدين، وآخرون يتبنّون ثلاثة شهداء، برسوم واشتراكات سنوية أو شهرية، بحيث تؤدي الى تغطية النفقات التعليمية والطبية والسكن، إلى أن يصل ابن أو بنت الشهيد إلى مرحلة الاكتفاء أو السن الذي يفترض أن يعتمد فيه على نفسه.

خامساً: إفساح المجال أمام التنوع في المواجهة حتى لا يبقى الأمر محصوراً بنا كمقاومة إسلامية. صحيح أننا تقدّمنا على غيرنا، لكن هذا لا يعفينا من مسؤولية أخذ اليد للآخرين حتى نشرك الجميع في الساحة. وبكل صراحة أقول لكم: مددنا اليد الثنائية لجميع القوى الحزبية الموجودة في لبنان، لكن وفّقنا بشكل محدود، ولم نوفّق في مجالات أخرى. ثم أنشأنا "السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال" كتعبير عن هذا الإطار الجامع الذي يشترط أمراً واحداً في المنتسب، هو أن يكون قابلاً بمقاومة الاحتلال دون هوادة، وأن لا تكون عليه إشكالات أمنية، أما الأمور الأخرى في معتقداته وقناعاته الفكرية أو السياسية فهو حرّ فيها؛ وقد أدت السرايا دوراً جيداً، ونسأل الله تعالى أن تتقدّم أكثر.

سادساً: الخطاب يجب أن يكون خطاباً وطنياً، ولا أخفيكم بأنّ بعضهم يُشكل علينا ويقول: هل يستطيع المسلم الملتزم بدينه أن يخاطب خطاباً وطنياً؟ ونسوا أنّ الرسول (ص) قال: "**مَن قُتل دون أرضه فهو شهيد**"، فمَن آمن بتحرير وطنه آمن بالإسلام، ولا تعارض بينهما، ولا يؤمن بالإسلام من لم يؤمن بتحرير أرضه من المحتل.

وعليه، أمكننا إيجاد التماهي بين الإسلامية والوطنية، وبالتالي لم تكن المسألة عائقاً. وهذا الخطاب فاستطاع هذا الخطاب أن يكون واقعياً، وهو يعبّر

عن قناعاتنا، وقابلاً للتفاعل مع فئات الشعب اللبناني.

سابعاً: تجنّبنا تنسيب العرب والمسلمين لمقاومتنا العسكرية، مع كل الطلبات التي كانت تأتينا من كل حدب وصوب، بعضهم يقول: "سأشكيكم يوم القيامة الى الله لأنكم لم تسمحوا لي بالقتال في لبنان ضد إسرائيل"، فنقول له: أعذرنا لا نريد أن نقع في إشكالية أنّ لبنان أرض يستغلها الآخرون ويقاتلون عليها. والحمد لله عندنا شباب كثيرون، ومَن رغب أن يدعم، فبمعزل عن الاشتراك المباشر في العمل العسكري، نحن نقبل كل أشكال الدعم المالي والسياسي والإعلامي والثقافي، لكن لا نقبل الدعم البشري المباشر، كي لا يلتبس العنوان الذي تنطلق منه هذه المقاومة، وكي لا نوقع المقاومة في نقاشات داخلية نحن بغنىً منها.

ثامناً: عدم التورط بخصوصيات النظام والتزاماته، أقصد النظام اللبناني، بحيث واجهنا الفكرة التي طرحها يومها وزير الخارجية، عندما أصرّ مرات عدة على ضرورة إيجاد التناغم بين المقاومة والدولة، فكنا نقول له: أترك التناغم يحصل ميدانياً وأرِحْ دولتك من التزامات لا تتحمّلها على الأقل. تقدر أن تقول إنّ هؤلاء جماعة خارج إرادتنا وسيطرتنا، وهؤلاء مقاومة، وبالتالي تتوزع الأدوار بشكل طبيعي، فالدولة تستفيد حيث تريد من أعمال المقاومة، والمقاومة تلتفت لما يصلح شؤون الدولة، فيكون التناغم دون نص ودون كتابة، لكن كلاً منهما يفهم الآخر، كي لا تصبح التزامات لبنان المباشرة التزامات كبيرة لا يتمكن من تحمُّلها، إلى أن تأتي الظروف التي تسمح بصياغة استراتيجية دفاعية لا تعيق الدفاع عن الوطن، ولا تجرِّد البلد من أسباب قوته.

تاسعاً: اعتبرنا سلاح "الكاتيوشا" سلاحاً دفاعياً عن الناس، وأخرجناه من معركتنا العسكرية المباشرة، فلم نعد نستخدمه برميه عن بعد بمناسبة وغير مناسبة لإيقاع القتلى والجرحى بالعدو، وإنما استخدمناه كحماية للمدنيين،

كي تبقى لنا القدرة من أجل إيجاد توازن الرعب مع العدو الإسرائيلي، فلا يظهر أنّ قتالنا إنما يعنينا مباشرة، وإنما نحن معنيون بحماية الناس، وهذا ما يستلزم أن نردّ. وهكذا كان "تفاهم تموز" وبعد ذلك "تفاهم نيسان"، ولم يستطع العدو أن يخرج من دائرة ضغط "الكاتيوشا" التي ألغيت من التداول العام الاستعراضي، فلم نعد نرى "الكاتيوشا" على الجيبات، ولم نعد نراها في الشوارع، بل حتى الإسرائيلي عندما يجول طيرانه بحثاً عن "الكاتيوشا" لا يستطيع رؤيتها إلاّ في اللحظة التي تُرمى فيها، يراها في "نهاريا" و"كريات شمونا"، وهذا جزء من تكتيك الاستخدام الذي يُخرج "الكاتيوشا" من دائرة الاستخدام اليومي، أو الاستخدام العسكري غير الفعّال، كي يبقى سلاحاً فاعلاً.

عاشراً: المقاومون هم جزء من الناس، بينهم ومنهم، يأكلون كما يأكلون، ويشربون كما يشربون؛ ويتحملون صعوبات ومتطلبات الجهاد في المواقع الأولى والأمامية، يستشهد أمينهم العام سماحة السيد عباس الموسوي(رض)، ويستشهد ابن أمينهم العام سماحة السيد حسن نصر الله(حفظه المولى)، وتعيش كل القيادات كما يعيش الناس، يعيشون حياتهم والآلام والمرارات والصعوبات والتضحيات، لا توجد فروقات أو تمييز في هذا الأمر.

هذه الخطة المكوّنة من النقاط العشر ساعدت في العمل، وواجهت خطوات الخطة الإسرائيلية تماماً، فولدت علاقة متينة بين المقاومة والناس، إلى درجة أصبح الطفل الصغير اليوم يعتزّ أنه مقاوم، وينظر إلى "إسرائيل" بأنها عدو ضعيف يمكن أن يواجهه هذا الطفل ويؤدي دوره بالمواجهة في يوم من الأيام ليهزمه، وهذه قوة معنوية هامة.

المقاومة والحكم والجيش

وقد حلّينا الإشكال بين المقاومة والحكم، فكنا نتجاوز الكثير من الأمور لمصلحة المقاومة، مع أننا في فترة من الزمن كنا منزعجين من طريقة أداء الحكم، لكن لم نكن نتوقف عند الجزئيات والتفاصيل لمصلحة تمتين العلاقة، والحمد لله فيض لنا الله تعالى هذا الحكم الجديد برئاسة العماد لحود وبرئاسة الرئيس الحص. هذا الأداء الذي حصل في العهد الجديد كان يصبّ مباشرة في الاتجاه المعاكس للمشروع الإسرائيلي مئة بالمئة ، وساهم مساهمة فعالة في العلاقة بين المقاومة والحكم، وأقدم الحكم على خطوات سياسية، نأمل أن تترجم بأمور أخرى أيضاً لمصلحة هذه العلاقة، وهذا ما انعكس على الناس، بل انعكس على الرعب الإسرائيلي والانزعاج، وكما قال أحدهم قبل أن أدخل الى هذه الجلسة: الحمد لله الذي وصلنا إلى زمن أصبحنا نسمع فيه شكوى إسرائيلية من لبنان لا شكوى لبنانية على "إسرائيل".

وأما العلاقة بين المقاومة والجيش، فهي في أحسن حالاتها، فـ"أمر اليوم" أمرٌ مقاوم، والمقاومة وأفراد المقاومة يحبون أفراد الجيش، ويتعاونون وينسّقون، وكلٌ يعرف قدرة الآخر، ويتوقف عند حدود الدور المنوط بالآخر، دون تشريع وتنظير، بل بأداء عملي، فالأمن في الجنوب وفي كل مكان من لبنان هو للجيش اللبناني، والمقاومة ليست معنية بأمن أحد على الإطلاق إنما تقوم بعمل المقاومة، وإذا كانت لها مساهمات أمنية فهي مساهمات وطنية في إطار مقاومة إسرائيل فقط وليست مساهمات ندّية للجيش اللبناني، وهذا ما أثّر بشكل كبير على هذه العلاقة.

هذا فيما يتعلق بالإرادة الشعبية وقوّتها حول المقاومة، وقد تقدّمت خطوات كبيرة، والحمد لله، نجد المجتمع اللبناني اليوم كله متماسكاً حول المقاومة، بمسلميه ومسيحييه، وبكل أحزابه وقواه، بل أصبحنا نرى اليوم الرافض

للمقاومة يختبئ في زاوية مظلمة، من دون ضغط من أحد، لكنّه يواجه إرادة شعبية تريد المقاومة وتريد التحرير.

القـرارات الدوليـة

أما فيما يتعلق بالقرارات الدولية، فالقرارات الدولية تكون عادةً تلبيةً للمصالح الدولية، وتنفيذها رهن بهذه المصالح أيضاً، فلا يظنّنّ أحد أنّ قراراً دولياً يصدر ويكون فيه المصلحة للبلد المعني، إلاّ إذا تقاطعت بالصدفة هذه المصلحة لهذا البلد مع هذا التوجه الدولي.

وعليه، عندما انطلق القرار ٢٤٢ والقرار ٣٣٨، لاحظنا أنّ الألغام الموجودة في القرارين وُضعت قصداً ليتمكن المشرّع الدولي من أن يتدخل في اللحظة المناسبة ويحوّر في مضمون القرار.

وللعلم وللتوضيح، القرار ٢٤٢ يقول في الفقرة (١-أ): "**إنسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من أراضٍ احتُلت في الصراع**"، دار النقاش بين العرب و"إسرائيل"، هل الترجمة صحيحة أم لا؟ "إسرائيل" تتمسك بترجمة "أراضٍ احتُلت" لتدّعي أن تنازلها عن أي مساحة مهما كانت صغيرة هو التنفيذ الفعلي للقرار، والعرب يقولون "الأراضي التي احتُلت" ويقصدون كل الأراضي، فـ"ال" التعريف فقط في هذا القرار نسفت القرار ٢٤٢ بالكامل، وجعلت البلدان العربية خاضعة للتفسير الدولي والإسرائيلي، وحتى عندما شرعت أميركا بالتعاون مع روسيا – وأميركا هي الأصل في هذا الأمر – بتسوية مدريد، كان الطلب العربي هو تفسير القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، فلم تقبل أميركا دخول العرب إلى مدريد مع تفسير واضح للقرارين، كي يبقى الأمر معلّقاً، وتبقى القدرة الإسرائيلية على المناورة قائمة؛ فبهذا المعنى القرار ٢٤٢ ليس ملزماً بشيء، تستطيع "إسرائيل" أن تقول "انسحبت من كيلومتر واحد من الأراضي المحتلة

فحققت مضمون القرار ٢٤٢"، وبالتالي بماذا يطالب العرب؟! و هكذا، كل قرار دولي له ألغامه التي تساعد المتحكم باللعبة بأن يدخل منها متى شاء.

أما القرار ٤٢٥، فكان حاضراً أمام لبنان وأمام "إسرائيل" وأمام أميركا وأمام كل الدول، من سنة ١٩٧٨، لم يتحرك ساكن لتنفيذ القرار ٤٢٥، إلى أن استفاقت "إسرائيل" بعد عشرين سنة تحت عنوان "الموافقة على تنفيذ القرار ٤٢٥"، ولولا حشرة "إسرائيل" السياسية والعسكرية لما وافقت على هذا القرار. ونحن نعتبر أنّ الموافقة الإسرائيلية انتصار للمقاومة وانتصار للبنان، لأنّ الرفض لمدة عشرين سنة يأتي بعده قبول، هذا إنجاز بمستوى من المستويات. لكن كيف يُنفّذ القرار ٤٢٥؟ له إضافة واحدة تريدها إسرائيل: "مع ترتيبات أمنية"، والترتيبات الأمنية تبدأ اليوم ولا تنتهي إلى يوم القيامة، ونموذج الترتيبات الأمنية في فلسطين واضحة أمامنا، يقول الإسرائيلي كلما حصلت عملية أو إطلاق نار، بأنّ الأمن لم يتحقق بعد. فإذاً، "إسرائيل" تقبل عندما يتحقق الأمن، وهذا الأمن غير مأمول التحقق.

من هنا نقول: إنّ القرار ٤٢٥ وافقت عليه "إسرائيل" بشرط الترتيبات الأمنية، وهي في الواقع لا تريد تنفيذه، وإنما تستخدمه كإطار سياسي، وأميركا لو أرادت أن تنفّذ هذا القرار وأن ينسحب الإسرائيليون لتدخلت، لكنها احتجّت بأنّ القرار يتحدث عن توافق، والتوافق لا يتدخل على أساسه مجلس الأمن ولا الأمم المتحدة، فالأمر متروك للطرفين.

وإذا ما قرأنا بدقة كيف تحدّث كل من "رابين" و"نتنياهو"، يعني كيف تحدّث العمل والليكود، عن القرار ٤٢٥ أو عن الانسحاب من لبنان، لوجدنا أنهما مشتركان في الخلفية، "رابين" يقول في سنة ١٩٩٤ أمام الكنيست الإسرائيلي: "إننا مستعدون للعودة الى الحدود الدولية بين بلدينا ضمن ثلاثة شروط: سلام، وتطبيع، والتوصل الى ترتيبات أمنية ودمج جيش لبنان الجنوبي

في الجيش اللبناني". وأضاف: "في حال أثبت الجيش اللبناني قدرته خلال ستة أشهر على الإبقاء على هدوء كامل، وحلّ حزب الله في جنوب لبنان، فإننا سنبدأ مفاوضات مع لبنان تستمر ثلاثة أشهر". يعني: قدِّم يا لبنان كل ما عندك، وأبطِل قوّتك بالكامل، وليكن لبنان مسحوقاً في مواجهة "إسرائيل"، وبعد ذلك تبدأ المفاوضات، ولا تبدأ فوراً إنما تبدأ بعد ثلاثة أشهر حيث يمكن أن يتوصلوا الى النتيجة، ولن تنتهي إلاّ بانتهائنا، هذا عرض "رابين" المعتدل!

أما "نتنياهو" فيقول خلال اجتماع مجلس الوزراء المصغر عام ١٩٩٨: "إنّ إسرائيل مستعدة لقبول القرار ٤٢٥، شرط التوصل الى اتفاق مع لبنان، يضمن تدابير أمنية تطالب بها إسرائيل. وعندما يقول تدابير أمنية تطالب بها "إسرائيل"، يعني أنّ الله وحده يعلم ما هي هذه التدابير الأمنية التي تريح "إسرائيل" وتنعشها، فالموضوع قابل للتفسير والتوسعة ليشمل كل المطالب الإسرائيلية بذريعة الأمن.

ثم يقول "نتنياهو" في تصريح آخر كتوضيح للقرار: "إنّ إسرائيل ستنسحب من لبنان إذا طُبِّقت الترتيبات الأمنية المطلوبة، وأهمها: تفكيك قدرات منظمة حزب الله، فيكون السلام حقيقياً يوفر الأمن لسكان "شمال إسرائيل"، ويضمن عدم تعرُّضها لاعتداءات إرهابية".

أمّا الفهم الحقيقي لما يُطرح بعنوان "السلام"، فنستطيع أن نقرأه من كلام "رابين" الذي تحدّث عام ١٩٩٤ عن انسحابه من الجولان فقال: "إنّ مدى انسحابنا من الجولان يتعلق بما سنحصل عليه بالمقابل فيما يتعلق بالسلام".

كل الطروحات الإسرائيلية فيما يتعلق بالقرارات الدولية، وما يتعلق بالأداء في منطقتنا، هي طروحات غائمة وغامضة وعمومية، وتحمل ألف تفسير وتفسير، يمكن لإسرائيل أن تفعل ما تريد، وأميركا تؤازر إسرائيل في هذا الفهم، وتلعب وتناور على العرب، وتحاول أن تفرش لهم فراشاً يطمئنون إليه، تحت عنوان أنّ

هذه الكلمة مناسبة وهذه العبارة جيدة، ولا عمل إلاّ في خدمة إسرائيل.

المقاومة هي الحل

من هنا، كنا نركّز دائماً بأنّ المقاومة هي الحل، لأنّ "إسرائيل" لا توقفها عند حدّها لغة القرارات السياسية الدولية، فهي مسلّطة عليها، والدول الكبرى تدعمها، لأنّ أصل إنشاء "إسرائيل" تمّ بقرار دولي جائر بحق الشعب الفلسطيني وكل شعوب المنطقة، فكيف نتأمل خيراً من الدول الكبرى.

لذا نقول بأنّ المقاومة هي الحل، ونقطة الوجع الإسرائيلي هي نقطة الأمن، وبالتالي يجب أن نضرب هذا الأمن، لو وقف كل الناس في لبنان وفي العالم العربي لينظّموا مؤتمرات شتائم لإسرائيل ومواقف سياسية حارة ضد "إسرائيل"، واجتماعات ومنظمات وكتب ومؤلفات، لساهمت "إسرائيل" بحساباتها المادية، حتى تروّج لهذه النفقات المدفوعة، لكنّ أمراً واحداً يقلقها هو المقاومة المسلحة.

لذا، نؤكد على ضرورة دعم المقاومة المسلحة واعتبارها هي الخيار، وكل المقاومات الأخرى، الثقافية والإعلامية والسياسية والمالية وما شابه.. هي أعمال رديفة ومساعدة للمقاومة المسلحة، هذه رأس الحربة التي يجب أن تبقى، و"إسرائيل" لا تفهم إلاّ بلغة القوة، ولا يمكن أن نحرّر أرضنا اعتماداً على الآخرين، بل يجب أن نعتمد على أنفسنا:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ... ولا بد للقيد أن ينكسر

ولكن الأمر يتطلب جرأة من قِبلنا، لا تخشَوا.. ففي السياسة مداخل كثيرة، ولا تخشَوا.. ففي الإمكانات مداخل كثيرة، ونستطيع أن نمرّ بين نقاط السياسة الصعبة للوصول الى أهدافنا دون أن نتعثر، ونحقق الإنجازات الكبرى في عدم

إعطاء "إسرائيل" شرعية وجودها، وفي عدم تحقيق استمرارها في جنوبنا وفي أي بقعة محتلة.

إننا نؤكد على أهمية التماسك بين الحكم والشعب والمقاومة والجيش. ونوجّه تحية لحكومة الحص على المواقف الشجاعة، وهذه الدولة بقيادة الرئيس لحود. كما نؤكد على ضرورة تثبيت وتثمير العلاقة بين لبنان وسوريا، لا على قاعدة أنّ سوريا تستفيد من لبنان، وإنما على قاعدة أنّ لبنان أيضاً يستفيد من سوريا، فالعلاقة بين البلدين علاقة تكاملية في الاستفادة، وليس صحيحاً أن نفكر بأنّ جهة تستطيع أن تأخذ أكثر من الجهة الأخرى، إذا أحسنّا صياغة هذه العلاقة واستمرّينا بها بطريقة تكاملية.

ونؤكد بأنّ هذه الإرادة هي التي تنتصر في النهاية، فعندما حُشِرَت "إسرائيل" داخلياً بعد عملية "أنصارية" في ١٩٩٧/٩/٥، لم تعد تتحمل البقاء في لبنان، وعبّرت عن رغبتها في الانسحاب، على الرغم من عدم جهوزيتها وجديتها في ذلك، لكنها انتصارات ترَونها في كل يوم، وبالأمس صعد المقاوم يلوّح بالعلم على رأس التلة في منطقة "الدبشة" وكأنه يتمشى في الشوارع الخارجية لبيروت، وكأنه لا يرى طيراناً ولا "إسرائيل" ولا وجوداً لأحد، إذا ما دلّ هذا الأمر على شيء، فإنما يدلُّ على الثقة الكبيرة بالله تعالى وبالنفس. فلنكن واثقين أنّ إرادتنا تغيّر وتُخرج "إسرائيل" بالقوة من لبنان من دون قيد أو شرط؛ ولا تخيفنا كل القرارات الدولية، لأنّ إرادة الشعوب أقوى من القرارات الدولية ومن الإرادة الدولية.

علينا أن نثق بأنفسنا، هذا ما نؤمن به، وأن لا نعطي للآخرين أي شيء تحت أية ذريعة. نحن ضد أن يعطي أحد أي التزام إعلامي أو سياسي للإسرائيلي، حتى ولو كان من باب المناورة لأننا يجب أن نحتفظ بكل شيء. من هنا، عندما نُسأل دائماً: ماذا ستفعلون إذا ما انسحبت "إسرائيل" من جنوب لبنان؟

نجيب دائماً: عندما تنسحب نقول لكم ماذا سنفعل.

لأننا إذا قلنا اليوم بأننا سنستمر في القتال فسيبدأ النقاش الإسرائيلي والدولي ضدنا وتحميلنا مسؤولية الاستمرارية، وإذا ما قلنا سنتوقف عن القتال سيقولون هذه الخطوة الأولى أخذنا جواباً عليها، فما هي الأجوبة عن الخطوات الأخرى؟ لسنا مضطرين للدخول في هذا الجدل، هناك ألمٌ إسرائيلي يجب أن نركّز عليه، حتى نبتر هذا الوجود الإسرائيلي في بلدنا، وبعدها عندما يحصل الانسحاب نرى وترَون، ونعلم وتعلمون، والله تعالى هو الموفق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

المحاضرة الثالثة

دور "المقاومة الإسلامية"
في تحرير جنوب لبنان
وتأثير ذلك على الصحوة الإسلامية

دور "المقاومة الإسلامية" في تحرير جنوب لبنان وتأثير ذلك على الصحوة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق مولانا وحبيبنا وقائدنا أبي القاسم محمد (ص)، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه المنتجبين، وعلى جميع الأنبياء والأولياء والشهداء إلى قيام يوم الدين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

اجتاحت "إسرائيل" لبنان في حزيران ١٩٨٢ بهدف القضاء على المقاومة الفلسطينية وتعطيل قوّتها العسكرية من لبنان، وبداية مرحلة جديدة تؤسس لاعتماد لبنان كورقة قوة إسرائيلية تساعد في مشروع تثبيت الكيان الإسرائيلي، وتكون جزءاً من الضمانات الأمنية والسياسية لهذا الكيان. فالخارطة تُرسَم على قاعدة حل يعطي الأمن لـ"إسرائيل"، ويدفع الفلسطينيين الى الاستسلام ورمي البندقية.

(*) محاضرة ألقاها نائب الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ نعيم قاسم في الحرم الرئيسي في مجمع "أبو النور الإسلامي" – دمشق، في ٢١/٢/١٤٢٢ هـ (الموافق: ١٤/٥/٢٠٠١ م).

أثناء الاجتياح شاركت مجموعات من المؤمنين في التصدّي لـ"إسرائيل"، أبرزها في منطقة خلدة، على مشارف بيروت العاصمة، وأثّرت في الحد من تقدّم الجيش الصهيوني، ولم تكن لهؤلاء المؤمنين صيغة سياسية واضحة ومحددة، لكن واكب هذه المرحلة مجموعة من اللقاءات والنقاشات أثمرت قيام "حزب الله"، الذي بنى منطلقاته على أساس الإسلام المحمدي الأصيل بكل ما يعني الارتباط بالإسلام من أبعاد في العقيدة والحياة السياسية والجهادية والاجتماعية، فردياً وجماعياً، وركّز في أولوية أهدافه على وجوب قتال العدو الإسرائيلي قتال تحرير لا قتال مساومة أو مهادنة أو تحقيق مكاسب سياسية محددة.

لكن هذا المستوى من التضحية بالنفس - نظراً لآثار هذا القتال من عطاءات وشهداء - يتطلب إجازة شرعية من فقيه عادل متصدٍّ يتحمّل مسؤولية توجيه الأمة في هذا الاتجاه؛ وبما أننا بنينا حزبنا منذ التأسيس على قاعدة الالتزام بالولي الفقيه كقائد وموجّه، فقد حصلنا على الإجازة الشرعية، ومعها وجوب بذل أقصى الجهد لقتال هذا العدو الغاصب المحتل وذلك من الإمام الخميني (قدّس سرّه)، الذي يمثّل الولاية الشرعية التي تُبرىء الذمة. وبما أنّنا في الخندق المتقدم فمساهمتنا في هذا الدور مطلوبة، وعلى هذا الأساس اعتبرنا واجبنا وتكليفنا من منطلق الإسلام المواجهة الدفاعية عن حقّنا ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[1] واجبنا أن نقاتل، فمَن استُشهد منّا فأجرُهُ على الله تعالى في جنّة الخلد، ومَن نصره الله تعالى حقق هدفاً أساسياً من أهداف الأمة لصلاحها ومستقبلها.

١- سورة الحج، الآية:٧٨.

١- بداية "المقاومة الإسلامية"

بدأنا تنظيم أمورنا في بناء عقائدي جهادي، وأعدّينا العدّة الممكنة من تدريب وإمكانات متواضعة، وانطلقت خطواتنا باسم "حزب الله" أو "المقاومة الإسلامية" كتعبير عن المواجهة العسكرية.

عانينا الكثير في بداية الأمر، فمن ناحية كنا نعلن عن عملية قمنا بها ثم نُفاجأ بالإعلان عنها من جهات أخرى، مما يربك على مستوى المصداقية، لكن الأمور بدأت تنجلي تدريجياً، خاصة مع انطلاق أول عملية إستشهادية للشهيد أحمد قصير في ١١/١١/ ١٩٨٢، حيث صدر لاحقاً بيان تفصيلي افتقرت لها بيانات الآخرين، إضافة الى اتضاح الصورة تدريجياً من خلال العمليات الناجحة والبيانات المعبِّرة عنها.

ومن ناحية أخرى، لم ترغب الأغلبية الشعبية بقيام عمليات ضد "إسرائيل"، بسبب التجربة الصعبة التي مرّت بها قبل الاجتياح نتيجة بعض الممارسات الخاطئة في علاقة المنظمات المختلفة مع الناس، إضافة الى رغبتها في الاستراحة من كل ما له علاقة بعبء أكلاف المقاومة. وعملنا بجد في هذا المجال للتوعية والتعبئة وتوضيح المسؤولية والتكليف الشرعي، وقدّمنا نموذجاً وممارسة حسّنَا تدريجياً من هذه النظرة، وتطورت - بحمد الله تعالى - إلى الالتفاف والعون.

ومن جهة ثالثة، أثيرت مسألة التسمية، فـ"المقاومة الإسلامية" تعني الانتماء الى الإسلام، وهذا ما يضر في بلد طائفي، والمطلوب تغيير التسمية وتعميمها لترضي الأذواق كافة ولا تثير حساسية أحد، كأن تسمى "المقاومة الشعبية" أو "الوطنية" أو ما شابه، لكننا أصرّينا على التسمية، وشرحنا وجهة نظرنا: مهما كانت التسمية فهي تعبير عن مضمون، وسيكتشف الناس هذا المضمون بسرعة، فإذا كان المقصود التعمية فالأمر غير حاصل، فضلاً عن

أننا فخورون ومقتنعون بما نعمل وبما نسمى به، وهذه تسمية إلهية ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[1]، وهي تعبير عن مضمون نتمنى أن نكون بمستواه لنكون أمناء عليه لا مدّعين له. أما إذا كان الإشكال على المضمون فللنقاش منحى آخر. وعملنا جاهدين لنثبت عملياً الفرق بين الإيمان والتعصب الطائفي، بين الإلتزام بالإسلام واستخدام التسمية لأغراض سياسية، بين راية رسول الله محمد (ص) ومجرد الانتماء بالهوية إلى التقسيمات العصبوية. ونجحنا - بحمد الله تعالى - في إعطاء هذا التمايز مضمونه العملي، حتى باتت "المقاومة الإسلامية" عنواناً مقبولاً ومحترماً، يحتوي على المضامين الجهادية والثقافية والسياسية الهادفة لخير الإنسان والوطن.

٢- الجهـــاد والشهـــادة

كيـف رسمنـا أهـدافنـا؟

آمنّا بالإسلام ديناً كاملاً يغنينا عن كل ما عداه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[2]، وعملنا على تثقيف الناس في هذا الاتجاه، وتوضيح صورة الخلل والتراكمات التي أساءت إلى هذا الدين، وتبيان أهمية العودة إلى الله تعالى للتخلص من كل الشرور، وعلى رأسها الطائفية.

ركّزنا على البناء الجهادي، على أساس القواعد التي علّمنا الله تعالى إياها: في البيع الكامل: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

١- سورة المائدة، الآية:٨٢.

٢- سورة المائدة، الآية: ٣.

٣- سورة التوبة، الآية:١١١.

أن يكون الجهاد في دائرة إحتمالات الربح والخسارة بالمفهوم المادي وفي دائرة الربح الدائم والحقيقي بالحصول على إحدى الحسنيين: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾[1].

إنّ النصر من عند الله تعالى، وله أوان واستحقاق بمعايير نجهل تفاصيلها لكننا ندرك مقدّماتها وإجمالياتها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

وقد تبيّن بالتطبيق العملي أنّ فعل الجهاد يفتح آفاقاً تتجاوز ما يمكن فهمه على المستوى النظري، فعندما تبدأ المسيرة بعطاءات الشهداء تحصل حالة تعبوية في الأمة تتصاعد باتجاه المزيد من التضحيات. فالشهيد يؤثّر في إخوانه وعائلته، وكم من عائلة تغيّرت قناعاتها وتطور التزامها وإيمانها وتفاعلت مع المسيرة الجهادية بشكل أفضل عندما استُشهد أحد أفرادها، بل أصبح الجو تنافسياً، فهذه العائلة تغبط الأخرى وتتمنى تقديم شهيد منها حتى تصبح عائلة شهيد. لقد تجاوز الشباب وعوائلهم فكرة الخشية من الموت والحرص على الدنيا، انسجاماً مع التحذير النبوي الشريف عن رسول الله محمد (ص) من الوهن، وهو: "حب الدنيا وكراهية الموت". واعتبروا أنّ الأجل مرسوم لا يقرّبه أو يؤجّله أحد ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3]، واطمأنوا الى أنهم محروسون بهذا الأجل، كما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "كفى بالأجل حارساً".

فإذا كان الموت محدّداً لوقته، والجهاد لا يقرّب أجلاً، والشهادة ترفع المكانة

١- سورة التوبة، الآية: ٥٢.

٢- سورة محمد، الآية: ٧.

٣- سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

عند الله تعالى، والعدو لا يرتدع إلاّ بالمقاومة، فلِمَ لا يكون الإقدام على العطاء والتضحية مع هذه الثمار العظيمة التي ترافقها في الدنيا والآخرة.

استغرب الكثير من الناس هذا المنطق، واعتبروه متهوراً وغير واقعي، بل رأوا انسداد الأفق مع التآمر الدولي الصارخ لمصلحة "إسرائيل"، وكنا نقول لهم: ثقوا بالله تعالى ولا تثقوا بأميركا، واطمئنوا إلى وعد الله تعالى ولا تطمئنوا إلى وعود المستكبرين، واسمعوا رب العزة يخاطبكم: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1]. واعتبروا من التاريخ والحاضر، وجرّبوا فسترَون أنّ القيام بالواجب بصدق وإخلاص مع التوكل على الله (جل وعلا) يحقق الإنجازات الكبرى التي لا تخطر على بال. إنه المدد والعطاء الإلهي الذي يتجاوز حدود قدرة وتطلعات الإنسان.

وهل يملك الإنسان كل المعطيات ليرى المستقبل بدقة؟ فلنعمل، والتوفيق من الله تعالى.

٣- مواجهة المشروع الصهيوني

إنّ وجود الكيان الصهيوني الغاصب في منطقتنا مصيبة حلّت على العرب والمسلمين وليس على الفلسطينيين فحسب، ويجب التعاطي معه بقدر خطورته الشاملة للحاضر والمستقبل، وعلى مستوى الأمة؛ ويجب الالتفات الى أنّ زرعه المادي سيخترق حواجز الثقافة والسياسة والاقتصاد، ليتحول الكيان الى أخطبوط يسيطر على كل حياتنا ويدمر كل مستقبلنا ومنطقتنا.

هذه الرؤية تتطلب مواجهة المحتل بأولوية وجدّية، وأن تسخّر كل الطاقات والإمكانات لعملية المواجهة. فالعدو قوي ومدعوم دولياً، ومشروعه خطير وكبير،

١- سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

وفرصتنا المتاحة محدودة وضعيفة، لكن بإمكاننا أن نبذل أقصى ما عندنا لنربك هذا العدو ونعيق مشروعه، ونفتح الآفاق أمام صحوة الأمة لتتضافر جهودها، تمهيداً لتسديد ضربات متتالية له، ﴿.. وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[1].

ظنّ البعض أننا متشوقون إلى الشهادة الى درجة البحث عن الموت كيفما كان! وتبيّن لهم أنّ الشوق حالة إيمانية روحية تعطي أقصى الاستعداد للتضحية تصاحبها الشجاعة والإقدام، لكن بشروط إعداد العدّة، وبالأساليب المناسبة، لنوقع أكبر الخسائر في العدو قبل تقديم الشهداء.

وعلى الرغم من اشتهار العمليات الاستشهادية كمدرسة برز فيها حزب الله بشكل مباشر، فإنّ عدد الشهداء الذين استُشهدوا بسيارات مفخخة لم يتجاوز ١٢ شهيداً، في ١٨ سنة، لكن الانطباع السائد عند الناس والعالم هو أكثر من هذا بكثير؛ لأنّ طريقة الأداء، والاختيار المناسب، والروحية العالية، إضافة الى الانطباع الذي أعطاه الشهداء في كل المواقع الجهادية أثناء المواجهة وضعف الحواجز السياسية والعسكرية أمام هذه الروحية، قد رسمت صورة المجاهدين وتأثيرهم، وعدم إمكانية مواجهتهم. فالآلة العسكرية صُنعت لتقتل، لكن المجاهد يبحث عن القتل في سبيل الله تعالى، وهذا ما يُسقط قدرة هذه الآلة عن صنع أي شيء أمام روحية المجاهد في سبيل الله.

٤- أساليب المواجهة (أثناء الاحتلال لجنوب لبنان)

إنّ الأساليب المعتمدة في مواجهة المحتل الإسرائيلي في جنوب لبنان والبقاع الغربي، ومن منطلق الرؤية الإسلامية والالتزام العملي، تركت آثارها الواضحة في تحقيق الانتصار، من هذه الأساليب:

٢- سورة آل عمران، من الآية: ١٢٦.

١- الاهتمام بأن تكون العمليات ضد أفراد الجيش الإسرائيلي بشكل مباشر وضد عملائه المجندين، بحيث يكون الهدف الذي تسخّر له كل الإمكانات هو إيقاع أكبر عدد من القتلى، في مقابل أقل الأثمان والتضحيات بالشباب المجاهد. إذ ليس المطلوب أن تكون العملية كيفما كان، بل أن تكون موجعة للعدو، وبأقل التضحيات البشرية في صفوف المجاهدين.

٢- الابتعاد عن الحركات الاستعراضية التي تستهدف تسخين الجبهة لمجرد إثارة الضوضاء، إذ المطلوب مراكمة خطوات طرد المحتل، وهذا ما لا يتم من خلال التراشق عن بعد.

٣- عدم بروز الإخوة المجاهدين في القرى، أو التواجد العسكري بين الناس، واعتماد مبدإ المقاومة بمواجهة المحتل والاختفاء عن الأنظار. لأنّ أي مواجهة كلاسيكية ستفشل مع تفوّق العدو، وأي ظهور استعراضي سيؤدي الى إضرارٍ بالناس دون تحقيق الفائدة المرجوّة.

٤- بناء أمتن العلاقات مع الناس، في التعاطي الإسلامي الخلوق، وفي تأمين مساعدات للمحتاجين، والمبادرة إلى ترميم أو إعمار البيوت التي تتضرر بفعل العدوان الإسرائيلي، وتأمين كفالة عوائل الشهداء وأبنائهم، وتوفير بعض الخدمات العامة للسكان.

٥- الهروب من الفتن الداخلية، ومن التنافس على المراكز والمناصب، واعتماد كل التحركات والخطوات التوحيدية، حتى لو كانت مكلفة؛ وجمع القوى على قاعدة مواجهة المحتل دون النظر الى الانتماءات والأهداف الأخرى، ليكون التركيز على "إسرائيل" أولاً وفعلياً.

٦- التعاون مع الأطراف التي ترغب العمل المقاوم، وتقديم المساعدة اللازمة لها. وعندما شعرنا بضعف واضح عند الذين يرغبون المقاومة، وسيقت

في مواجهتنا انتقادات الاستفراد بالمقاومة، علماً بأنّ المشكلة ليست على عاتقنا فحسب، مع ذلك سدّينا هذه الذريعة، وأعلنّا إنشاء "السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي"، التي تضم أفراداً يرغبون المقاومة، بصرف النظر عن انتمائهم الفكري والعقائدي والتزامهم الديني، شرط أن يملكوا رغبة قتال العدو، وأن لا يكونوا مخترقين أمنياً؛ وهكذا تم تدريب ورعاية هذه السرايا لتقوم بعملها الى جانب "المقاومة الإسلامية"، وهذا ما تم سنة ١٩٩٧.

٧- حصر استخدام "الكاتيوشا" بتوازن القوة مع "إسرائيل" للدفاع عن الناس، وعدم إطلاق هذه الصواريخ إلاّ بقرار دفاعي، كي لا يُستهلك ويصبح بدون قيمة، والحمد لله تحوّل صاروخ "الكاتيوشا" إلى مصدر رعب حقيقي للإسرائيليين، على الرغم من أنه سلاح عادي وقديم، لكن روحية وتوقيت استخدامه ملأته بقوة استثنائية مسدّدة من الله تعالى، وخدمت المقاومين في تسجيل تفوّق في عملية المواجهة.

٥- الانتصـــار والتحرير

إنّ ما حصل في جنوب لبنان لم يكن عملاً عسكرياً بحتاً كما ظن البعض، ولم يكن جزءاً من مرحلة مؤقتة وعابرة في الصراع مع العدو الإسرائيلي. إنه فعل إيمان والتزام. فالمقاومة هي نتيجة لهذا الإيمان، وكما لا يكون الإيمان لمرحلة دون أخرى، كذلك فإنّ "المقاومة الإسلامية" تعبير عن رؤيا متكاملة في حمل رسالة الإسلام ومواجهة أعداء الأمة.

لم توفر "إسرائيل"، ومعها أميركا والدول المستكبرة، أي جهد للقضاء على "المقاومة الإسلامية"، لأنها مثّلت الرمز والتأثير، وهي التي أربكت "إسرائيل" وعرّضت مصداقيتها للإهانة، ووضعتها أمام خيارات صعبة لا تريدها. لذا، خاضت "إسرائيل" حربين كبيرتين، في تموز ١٩٩٣ وفي نيسان ١٩٩٦، والهدف

المعلن هو القضاء على حزب الله، لكنّ حزب الله خرج من هاتين الحربين أقوى – بتوفيق وتسديد الله تعالى – مع التفاف شعبي ورسمي عارم، ليس على مستوى لبنان فحسب بل على مستوى المنطقة، وهذا من العوامل الإضافية للانتصار.

وهل كنا نتوقع هذا الانتصار في ٢٤ أيار ٢٠٠٠م؟

أقول لكم بكل صراحة: كنا نأمل الانتصار كوعد من الله تعالى للمؤمنين، لكن لم نكن نعرف كيف ومتى وبأية صورة. كل مواقفنا ركّزت في البداية على ضرورة إرباك "إسرائيل"، وجعل الأرض التي تحتلها في لبنان تغلي من تحتهم وتبقيهم قلقين. ثم تراكم هذا الإرباك والهزائم المتتالية حتى شعرنا قبل سنتين أي منذ العام ١٩٩٨ أنّ مؤشرات النصر تلوح في الأفق.

كان النصر أعظم – بشكله ومضمونه وتوقيته – من كل تصور لدينا، فهو نصر الله تعالى، ومهما أعددنا وبلغت إمكاناتنا فعطاءاته أكبر من تصوراتنا.

اعتبرنا أنّ الجميع شركاء في النصر، بل كل مَن أحب هذا النصر هو شريك فيه، لأي جهة انتمى، وفي أي مكان كان. لأنّه وإن شكّل المقاومون رأس حربته، فإننا لا نغفل أهمية الالتفاف الشعبي، ودور الدولة والجيش، وتأييد سوريا وإيران، هذه عوامل مساعِدة تختلف في حجمها ومستواها من جهة لأخرى، لكنّها سند للمقاومة وللمجاهدين.

إنّ روعة الانتصار تمثلت من جهة في صورة الهزيمة الإسرائيلية النكراء، فقد هربوا في ليل، ومن دون سابق إنذار، وتركوا الكثير من الأمتعة والمعدّات والطعام والمستندات، وخاصة لعملائهم الذين فاجأهم قرار الانسحاب الإسرائيلي من لبنان من دون قيد أو شرط، وحجتهم في ذلك أن لا يكتشف حزب الله خطة الانسحاب فيضربهم وهم هاربون. وكان فرحهم كبيراً لأنه لم يقتل أي جندي إسرائيلي أثناء الهزيمة والاندحار.

ومن جهة أخرى، في صورة الأخلاق الإسلامية الرائدة، حيث لم تُجْهِز المقاومة على جريح، ولم تتبع هارباً. وبحدود اطلاعنا التاريخي والمعاصر لم تقدّم أي مقاومة تجربة شبيهة بهذه التجربة الأخلاقية الإنسانية، سواء في فرنسا عند تحريرها أو أوروبا الشرقية أو غيرهما، بل سمعنا بالإعدامات وبشاعة السلوك للعديد من حركات المقاومة في العالم في التعاطي مع المتعاملين مع المحتلين. وقد دُهش العالم بهذا الانضباط، لكنّها تعاليم الإسلام يطبّقها عباد الله تعالى بروحية الإيمان.

٦- المقاومة أو الديبلوماسية

أثبتت التجربة والوقائع بأنّ "إسرائيل" متبنّاة من قِبل المجتمع الدولي، وعلى رأسه أميركا الظالمة، وهي مقبولة مع عدوانها واغتصابها وجرائمها، ومسموح لها أن تفعل ما تشاء لتثبيت كيانها، ولا قيمة للقرارات الدولية التي تدين أو تطلب شيئاً من "إسرائيل" فسرعان ما توضع في الأدراج ويُقفل عليها. إذاً، لا حل عندنا إلاّ بالمقاومة، وهي السبيل الوحيد للتحرير.

لم نرغب في فتح جدال مع مَن ناقشنا في لبنان بضرورة تنفيذ القرار ٤٢٥ الذي يقضي بوجوب انسحاب إسرائيل من لبنان إلى حدوده الدولية، فقلنا: تحركوا بالديبلوماسية كما ترغبون، لكننا سنتابع في عملنا المقاوم. وإذ بالمقاومة الإسلامية في لبنان تحقّق إنجاز التحرير الكبير في ٢٤ أيار ٢٠٠٠، أي بعد مرور ٢٢ عاماً على صدور القرار الدولي ٤٢٥ عام ١٩٧٨، ولتثبت بما لا شك فيه، بأنّ التحرير في مواجهة إسرائيل لا يتم عبر القرارات الدولية المعطّلة وإنما عن طريق المقاومة. والآن نقول: فليتحرك بالديبلوماسية مَن يرغب، فالمقاومة الانتفاضة في فلسطين هي الحل الوحيد لاستعادة الأرض، ونحن معها ونؤيدها، ونعتبرها طريق الخلاص لتحرير فلسطين.

٧- النمـوذج

لا يمكن الاستهانة بالانتصار الذي حققته "المقاومة الإسلامية" في لبنان، ومعها كل الشرفاء، إذ تحوّل إلى النموذج والرمز، ولهذا الانتصار تأثير كبير على الصحوة الإسلامية في المنطقة والعالم، لأنه شكّل تطبيقاً عملياً لآثار الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، وحقق إنجازاً نوعياً باسم الإيمان والإلتزام بتعاليم الإسلام، ورفع معنويات الأمة بعد إحباط ويأس من الطروحات المتنوعة التي لم تنفعها ولم تحقق لها شيئاً، وقدّم تجربة جديرة بالدرس لمعرفة مكامن القوة التي يُستفاد منها لتكرارها وللتخلص من المرارات الكثيرة التي عاشتها الأمة خلال الحقبة السابقة. هذا التأثير يستلهم الخطوات العملية التي أدت إلى هذا الانتصار - النموذج.

أثبت حزب الله أنه حمل قضية معاصرة هي "الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي"؛ وخاض تجربة معاصرة في تخطي الصعوبات مقابل الطروحات المختلفة في التعاطي مع العدو الإسرائيلي؛ وحمل الإسلام في زمن معاصر لينفض عنه غبار التخلف المدّعى، ويقدّم أحد نماذجه الحية والواقعية؛ ودخل إلى الحلبة السياسية المعاصرة ليعبّر عن مواقفه في إطار التداخل الوطني والإقليمي والدولي، ليثبت حضوراً شعبياً مؤيداً ومناصراً، وجواً رسمياً محترماً ومواكباً؛ وتخطى الكثير من تعقيدات الواقع الطائفي اللبناني ليتجاوزه إلى العنوان الجامع وهو "تحرير الأرض" بأبعاده الوطنية والعربية والإسلامية.

هذا النموذج ينفي تهمة الرجعية والتخلف، ويستحضر حيوية الإسلام وقدرته على مواكبة الحياة في كل زمان ومكان، فالعبرة بمن يحمله كيف يقدّمه؟ فإذا قدّمنا الإسلام بمقاييسنا وخصوصياتنا بطريقة متحجرة، حاصرناه وخسرنا حضوره.

وإذا عملنا لنرقى إلى مقياس الإسلام برحابته وشموليته وإنسانيته، كبرنا به وتعزّز حضوره.

إنّ أول ما يواجه الحركات الإسلامية والدعاة إلى الله تعالى هو أسلوبهم في تقديم الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

لا تقصد الآية بهذا التوجه اللياقة في أول لقاء وأول كلام، بل تقصد أن يكون كل كلامنا ولقاءاتنا في هذا الاتجاه. وما هو المانع، وممّ نخاف؟! فالقوة الذاتية للإسلام، عقيدة وفكراً وسلوكاً وشريعة وحياة، لا تعوزها الأساليب الضعيفة العاجزة لاستخدامها هرباً من مواجهة الكفر أو الشرك أو الانحراف.

أثناء قراءتي لأحد الكتب، وهو من الكتب الصغيرة التي لا تتجاوز الخمسين صفحة، والتي أعدّت على طريقة السؤال والجواب، بحيث بلغ عدد الأسئلة والأجوبة عدد الصفحات، أي في كل صفحة سؤال وجواب، وجدت كلمة "كافر" و"مشرك" و"كفر" في الإجابات خمسين مرة، فإذا سأله سائل عن كيفية ما في الصلاة قال: كافر. وإذا سأله عن زيارة لضريح قال: هذا كفر. وإذا سأله مستفسراً عن صفة من صفات الله تعالى قال: هذا شرك. أليس الأولى أن يبيّن له الموقف الشرعي ويهديه بالتي هي أحسن، دون أن يكفّره ويُخرجه من ربقة الدين "خمسين مرة"؟ كيف ستكون نظرة من يتربى على هذه الرؤية إلى الآخرين؟ هل يمكن لهذا النموذج أن يكون من الدعاة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن؟!

نحن لا نوافق على سياسة التكفير للمسلمين وفِرَقهم، فضلاً عن غيرهم،

١- سورة النحل، الآية: ١٢٥

فإذا ما كان البعض مقتنعاً بأنه يمثّل الفرقة الناجية، فليدعُ بالخير للفرق الأخرى، حتى تهتدي الى ما اهتدى إليه. وإذا ما ناقشوه بموارد الخلاف، فليقدِّم أدلته الشرعية بنقاش موضوعي. وإذا ما ناقشه الضالون، فليهدهم بالدليل والبرهان، فإذا ما اهتدوا إلى ما أراد فقد سُرّ قلبه وزاد مؤيدوه، وإذا ما خالفوه ترك الحكم في إدخالهم إلى الجنّة أو النار لمالك يوم الدين. أقول: الحمد لله الذي أنعم علينا فجعل الجنّة والنار بيده، ولم يجعلها بأيدي أولئك المكفّرين، الذين نفّروا من الإسلام بدل أن يقرّبوا منه.

٨- التعـاون

بما أنّ القضايا التي تواجهنا كثيرة، والأعداء كثر، فلا بد من البحث عن أسباب الوحدة والتعاون، ومن الأولى أن يتعاون المسلمون والعرب، على اختلاف مذاهبهم وآرائهم، لمواجهة الخطر الصهيوني والتآمر الاستكباري على بلدانهم وثقافتهم وأجيالهم، بل يجب أن يتوسع التعاون في داخل كل بلد بين الفئات التي تلتقي على قواسم مشتركة في بعض القضايا. فلا داعي للخوف من التعاون مع الآخرين، أو الانعزال عنهم، في خصوصية ضيّقة. إذ لا تستطيع أي جهة منفردة أن تنجح في مواجهة بعض القضايا، ولكن يمكنها تحقيق النجاح بالتعاون. فلنفتش عن أطر التعاون التي لا تضر بإيماننا والتزامنا، ومع الجهات التي توافق على تحييد خلافاتها الأخرى لحساب ما نتفق عليه.

لقد قام حزب الله بمبادرة جمع أغلب الأحزاب اللبنانية، ومنها الإسلامي والوطني والقومي واليساري والعلماني، تحت عنوان: تشكيل جبهة واحدة تلتف حول المقاومة لدعمها، مع وجود خلافات حقيقية في مسائل أخرى، لقد تمّ ذلك، فإذا ما استطعنا أن نعمل شيئاً معاً وله هذا المقدار من الأولوية، فلنحاول، هذه خطوةُ احتكاك وتفاعل تساعد على فهم بعضنا وعلى التواصل الذي قد يفتح آفاقاً أخرى أوسع في التعاون البناء.

٩- تبـايـن الحركـات الإسلاميـة

لقد أمكن التمييز بين نموذج حزب الله ونماذج أخرى من الحركات الإسلامية، وثبت للجميع بأنّ إطلاق عنوان "الحركة الإسلامية" بقصد شمول جميع الحركات والمنظمات والأحزاب والشخصيات الإسلامية غير صحيح. وأنّ الخطة المعتمدة من قِبل الاستكبار في مواجهة ما يسمى "الأصولية الإسلامية" تحت عنوان تشويه صورة المجاهدين، والدمج بين ممارساتهم، فشلت. أصبح واضحاً بأنّ كل حركة إسلامية تحمل خصوصيتها، ويمكن تقسيم الحركات الإسلامية إلى مجموعات متباينة في أفكارها، وطريقة ممارساتها، وتنظيم أولوياتها، ما أراحنا من التعميم الذي يجعل كل الحركات الإسلامية تتحمل مسؤولية أي حركة فيها. وهذه إيجابية كبرى تجعل كل حركة إسلامية مسؤولة عن نموذجها ولا تتحمل مسؤولية النماذج الأخرى، كما أصبح بإمكانها أن تستقطب المؤيدين والمناصرين الذين يرفضون غيرها، في إطار وضوح الفروقات بين الحركات المسماة إسلامية. هذا ما يعني بأنّ المسألة ترتبط بسلوك هذه الحركة وما تحمله من قناعات تترجمها على الأرض، ويفتح أمامنا الطريق لتعيد بعض الحركات الإسلامية النظر في طروحاتها التطبيقية، وكيفية تسويقها على أرض الواقع، والاستفادة من تجارب غيرها، وأنّ تجربتها ليست مُنزلة، فالإنسان معرّض للخطأ، وحمله للشريعة الكاملة لا يعني كمال سلوكه في التطبيق. وليس طبيعياً أن يبتعد الناس عن دين الفطرة إذا ما أحسنّا تقديمه بالطريقة الصحيحة، والتوفيق من الله جل وعلا.

١٠- الأمـل الجديـد

إنّ حالة الإحباط التي سادت في المنطقة العربية خاصة، ولفترة طويلة من الزمن، قد بدأت بالانحسار، وإنّ انعدام الثقة بالنفس وقدرة الإسلام على مواكبة الحياة قد تراجعت، وما نراه اليوم من معنوياتٍ عالية عند الناس وثقة

بالقدرة على مواجهة "إسرائيل" وإسقاطها، ومن شوقٍ كبير للتعرف على أسرار عظمة الإسلام الأصيل، وعودة متأملة بهذا الدين، مؤشرٌ على ازدياد فرص الصحوة الإسلامية وتلألئها. إنها وظيفة المبلّغين والدعاة إلى الله تعالى ليستثمروا هذا التعاطف الشعبي، ويأس الناس من الأفكار الأخرى، بزرع بوادر الأمل بالنصر الإلهي الأعم بعد الذي تحقق في لبنان. وما الحيوية التي برزت في الانتفاضة المقاومة في فلسطين إلاّ ثمرة من ثمار الانتصار لهذا النموذج في لبنان، القابل للتعميم، نظراً لحيوية الشعب الفلسطيني وعِظَم التضحيات التي قدّمها ويقدّمها، وما تمتاز به القضية الفلسطينية بمقدّساتها البارزة، التي تحرّك الإيمان الكامن في الأغلبية الساحقة من أبناء هذا الشعب الأبي. ويمكن القول: إنّ شعور المستكبرين بالخطر على أفكارهم ومنهجيتهم في مواجهة الصحوة الإسلامية أصبح كبيراً. وهذا ما يحمِّلنا مسؤولية إضافية لنعمل مستفيدين من الفرصة وإقبال الناس، لتحصينهم في مواجهة العولمة والتحديات المعاصرة.

١١- المشاركة السياسية

أما في العلاقة مع الحكام، فالأولى سلوك طريق التوعية للناس، وتقديم التجربة الحية الواعية، وعدم اللجوء إلى السلاح كطريق لفرض وجهة النظر في أيّ من البلدان الإسلامية، لأنّ أي صراع داخلي مسلّح هو خسارة حتمية، ولم يُطلب منا العمل للإسلام بالفرض على الآخرين، بل واجبنا أن نضحّي ونعلّم ونبني، ثم تقع المسؤولية على الذين لا يوافقون في "يوم الحساب"، إذ أنّ الظروف الموضوعية والدولية هي في مواجهة الحركة الإسلامية خوفاً من انتشارها وتأثيرها، فلنكن حريصين للعمل الهادئ والبناء، ولا نحمل سلاحاً إلاّ في مواجهة محتل، ونعمل في الداخل بالإقناع وتقديم التجربة - النموذج.

إنّ المشاركة في الحياة السياسية يمكن أن يتم من دون التخلي عن الثوابت

والضوابط الشرعية، وهذا ما يحتاج إلى دقة في المتابعة. لسنا مضطرين لأن ننظّر دفاعاً عن باطل من أجل مكسب داخل النظام، إذ يكون الأولى عندها أن لا نكون في هذا الموقع، ويمكننا العمل بمقدار ما ينسجم مع إيماننا، فبذلك لا ننعزل بالابتعاد الكامل، ولا ننخرط بالتخلي عن الضوابط الشرعية، إنما نكون عاملين على أساس ثوابتنا والتزامنا، ولو خسرنا بسببها بعض المكاسب، لأنّ الأصل هو مرضاة الله تعالى، سواء تحققت لنا المكاسب أم لا. وهذا ما دفعنا للمشاركة في المجلس النيابي والحياة السياسية اللبنانية، مراعين ضوابطنا وحدودنا الشرعية، ومتحملين بعض الخسائر العملية للمحافظة على هذا الالتزام.

١٢- التجـــارب الذاتيـــة

نحن نؤمن بالخير الكثير الموجود في منطقتنا وأمّتنا، ولذا لا بد أن تتولد الحركات والمنظمات والشخصيات العاملة في تلك المنطقة بحسب ظروف وخصوصيات كل بلد، وعلى هذا الأساس قررنا أن لا يكون لنا فروع في البلدان المختلفة، مع ثقتنا بأنّ تجربتنا ستكون محل دراسة واقتداء واستفادة. وعليه، فما الداعي لنجعل البعض يخاف من امتدادنا، والبعض الآخر يحسدنا على مزاحمته. فلتكن لكل بلد حريته، وليثبت المؤمنون فيه قدرتهم وفعاليتهم، وليست تجربتنا حكرٌ علينا، فهي واضحة للعيان أمام الجميع، ونصرِّح دائماً بخطوطها العريضة والعامة وضوابطها المختلفة، وبالتالي هي ليست خافية على أحد، ولا ممنوعة على أحد، ولكلٍ أن يستفيد منها ما شاء بملاحظة خصوصية بلده وظروفه، فالفكر والتجارب الإنسانية مفتوحة أمام الجميع.

١٣- الصحوة نحو الانتصار

إننا واثقون بوعد الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١]. ومؤمنون بأنّ القدس ستعود إلى أهلها، وستحرر كل فلسطين بإذن الله تعالى، فالحجر سيقول: "يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله". وأمامنا تجربة الانتصار في لبنان، والتي تثبت هشاشة القوة الصهيونية المتترّسة بالآلة العسكرية والضغط الدولي، فهم جبناء كأفراد في المواجهة، وكيانهم غير مستقر، فكيف إذا ما استمر الشعب الفلسطيني المقاوم في المطالبة بحقه والتضحية من أجله.

إنّ المطلوب هو الثبات، كي لا يشعر هذا الكيان الغاصب بأمنه أو استقراره، فلو حققت الانتفاضة المقاومة هذا الهدف واستمرت عليه لفترة من الزمن، فهي تؤسس لعدم شرعية الكيان الغاصب، إلى أن تحصل تطورات وظروف تتراكم وتساعد على المزيد تمهيداً للتحرير الكامل بإذنه تعالى.

إنّ علينا أن نرى الضعف مع الإيمان قوة، وقلّة العدد مع تسديد الله تعالى نصراً، وقلّة الإمكانات مع القيام بما علينا والتوكل على الله تعالى أملاً مستقبلياً. ولا داعي للعجلة، فالدنيا مسرح عمل، والعمل تواكبه التضحيات، ومَن صبر نال ما تمنّى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

يمكننا القول: إننا نعيش في مرحلة الصحوة الإسلامية الحيّة، لكن علينا البحث عن أسباب قوّتها وعوامل إعاقة تطورها، لنكون يداً واحدة في تعزيزها، وليكن واضحاً بأنّ الجهاد مع ما يستلزمه من تضحيات هو الطريق الى خطوات بنّاءة وإيجابية لمصلحة الأمة.

١- سورة القصص، الآية: ٥.

٢- سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

المحاضرة الرابعة

موقعيـــة المـــرأة في جهـاد المقـاومة

موقعيـة المـرأة فـي جهـاد المقاومـة *

السلام عليكم ورحمـة الله وبركاتـه.

هذا الجهد الكبير لمشروع التأريخ لدور المرأة، في المقاومة والمواجهة والجهاد، يُعتبر عملاً نبيلاً ومؤسِّساً ومهماً، و نحن بحاجة في الواقع إلى تأريخ كل حركة المقاومة ، سواءً على مستوى أداء الأخوات أو الشباب أو الأطفال أو الحركة الاجتماعية بشكل عام، لأنّ حجم التضحيات التي حصلت خلال فترة قصيرة من الزمن كانت كبيرة جداً بمقياس عطاءات الشعوب، وإذا ما قيست بالثُّلة القليلة من المجاهدين والمجاهدات التي واجهت تحدياتٍ خطيرة، وحقّقت إنجازاتٍ وانتصارات ما كانت لتحصل لولا تسديد الله جل وعلا.

سأحاول مع الأخوات الكاتبات والمهتمات بهذا الشأن، أن أستعرض مجموعة من النقاط التي أعتبرها مفيدة في إطار هذا اللقاء الذي ينعقد بطريقة متخصِّصة.

---

* ألقيت في الدورة الثانية لتأهيل الكاتبات في مشروع التأريخ لدور المرأة. ١٩/٠١/٢٠٠٣.

أولا - التفاعل مع الشهادة

استطاعت الأخت والأم والزوجة والبنت أن تقدّم نموذجاً مهماً في تلقّي معنى الشهادة، وهذه ميزةٌ يجب التركيز عليها، فالمعروف بأنّ عاطفة الأمومة والأخوة والبنوة والزوجية غالبة بشكل عام، وخاصة في مجتمعاتنا، إلى درجةٍ تمنع الرجال عادة من الإقبال على الجهاد والتضحية، بحيث تشكّل هذه العاطفة عائقاً في الإقدام على العمل الجهادي. لكن ما رأيناه في ساحتنا الجنوبية وفي كل المناطق اللبنانية التي شاركت ورفدت المقاومة وقدّمت لها، أنّ هذه العاطفة تألّقت بالإيمان بالله تعالى فكانت أقوى من العاطفة الشخصية، وعلى الرغم من آلام تضحيات الأحبة، فقد سيطرت الأمهات والزوجات والأخوات والبنات على مشاعرهن، وأبرزت الافتخار بعطاءات الأبناء والأزواج والأخوة، وهذا مالم يكن مألوفاً على مستوى الواقع، ولذا كان موقف النساء في تلقّي أخبار الشهادة مفاجئاً وعظيماً. حتى لو افترضنا أن تتعالى المرأة على الجراحات على المستوى النظري، لكنّ العبرة في التطبيق العملي، فكم من نظرياتٍ قيلت ثم وجدنا أنها لم تؤثّر مباشرة في القلوب والنفوس.

ولا أخفيكن أنّه في الأيام الأولى لسقوط الشهداء، كنّا نفكّر كيف ندخل إلى العائلات؟ وكيف نتحدّث معهم ونُخبرهم بشهادة ولدهم؟ لكنّ المفاجأة الكبرى أنّ ردات الفعل الأولى كانت عظيمة و إيجابية أكثر مما كنّا نتوقع. فهذه الأم التي كانوا يقولون عنها بأنّها لا تتحمّل، وعندها مرضٌ في القلب، وعندها ضغط مرتفع، ويمكن أن تصاب بنكسةٍ كبيرة، ولا تتصوّر أن تخسر ولدها، كأنها شُحنت بطاقةٍ جديدة وإضافية عند شهادة ولدها، فصرخت مزغردةً مفتخرةً صامدةً وصابرة، ما يعني أنّ كثرة التهويل بضعفها في مواجهة التحديات لا ينسجم مع روحيتها العالية في موقع المقاومة والكرامة والعزة، فهي تعيش بشهادة ولدها طمأنينةً لمساهمتها في هذا الخط، وهنا تنتقل حالتها من القلق والرعب والخوف إلى قوة إضافية واستثنائية ومعنوية تساعدها على التعاطي

مع الشهادة، وهذه نقطة إيجابية وموثّرة تسجّل لأمهاتنا وأخواتنا بشكل عام، وقد أعطت دفعاً معنوياً للأخوة المجاهدين وللمسيرة بشكل عام.

لم يكن هذا الاستنتاج استنتاجاً نظرياً بل كان استنتاجاً عملياً ، رأيناه من خلال التطبيق الواقعي، وصدرت تصريحات من بعض الأمهات والأخوات في وسائل الإعلام، لم تكن مُنسّقة ولا مُعدّة سلفاً، عبّرت عن عمق الإيمان الحقيقي في نفوسهنّ، وعن مستوى التفاعل مع مسيرة الجهاد والمقاومة، وهذا ما يجب أن نسلّط الضوء عليه لإبراز هذه النماذج التربوية العظيمة.

ثانياً- مشاركة المرأة في المقاومة

شاركت بعض الأخوات والأمهات في الدعم غير المباشر للمجاهدين، سواءً حصل ذلك بإيوائهم، أو التّستر عليهم، أو توفير المواد التموينية لهم، أو نقل الأخبار النافعة للمقاومة، أو غير ذلك مما يعتبر مساهمةً أو حمايةً للعمل المقاوم.

ولا يصحُّ الاستهانة بهذا المستوى من التفاعل، لأنّه يوفر البيئة المؤاتية لنجاح العمل، وفي هذا المجال تدخل بعض الأعمال الحساسة التي تقترب من المشاركة شبه الفعلية في العمل الجهادي. وعلى الرغم من عدم شمولية هذه المشاركة للكثير من الأخوات والأمهات، لكنّ النموذج معبِّر، حيث كانت تتمُّ الأمور بحسب الحاجة الميدانية، ولم يكن هدف المقاومة زجُّ الأخوات في المعركة إلاّ عند الضرورة، وبالمقدار الذي لم يصل إلى مستوى استخدام السلاح والقتال المباشر، نظراً للضوابط الشرعية التي لم تكلّف المرأة بالقتال، وعدم وجود الضرورة لمشاركتها بحسب طبيعة المقاومة وتوَفُّر العدد الكافي من الشباب، وحمايةً للأخوات من أن يتعرض العدو لهنّ. مع ذلك فقد اعتقل العدو الإسرائيلي وعملاؤه بعض الأخوات والأمهات، ووضعهن في سجن الخيام لفترة طويلة من الزمن، ومارس بحقهن أشكالاً من التعذيب الجسدي والنفسي، وهذا

ما يُسجّل للمرأة المقاومة في تاريخ الجهاد كعلامةٍ مضيئةٍ ساهمت في التحرير والنصر.

ثالثاً - التعبئة

أوجدت التعبئة الثقافية والجهادية والسياسية عند الأخوات نموذجاً حيوياً متفاعلاً في ساحتنا، فلم نعد أمام انفصام في المجتمع بين من يهتم بالمقاومة ومن يتفرج عليها أو لا تعنيه شؤونها وما يرتبط بها، بل أصبحنا أمام حالةٍ متكاملة في الساحة السياسية بين جميع أفراد هذه الساحة من الرجال والنساء، فالشباب معنيون بالجهاد العسكري، والأخوات معنيات بالجهاد ودوافعه وآثاره أيضاً، بمعنىً آخر: كان العمل يستهدف بناء مجتمع المقاومة، وقد تحقّقت خطواتٌ مهمة في هذا الاتجاه، وقد لاحظ المراقبون هذا الأمر من خلال الاندفاعة القوية للشباب نحو الجهاد، وقناعةِ الأخوات بتكليفهن الشرعي في دعم هذا التوجه وفي تربية الأطفال والشباب عليه.

هذه التعبئة هي من آثار جهاد الإمام الحسين(ع) وجهاد السيدة زينب(ع)، فالمجالس التي تنعقد لإحياء عاشوراء تغرس هذه الروحية في المؤمنين والمؤمنات، وتبني قاعدةً ثقافية وجهادية صلبة وواعية، ما يؤدي إلى الالتزام بالقيادة الشرعية التي تعمل في هذا الاتجاه. كما أن أخواتنا يمتلكن الوعي الكافي للمشاركة السياسية التي تستلزم فهم طبيعة الخطر الإسرائيلي ومستلزمات مواجهته، وحجم الضغط الدولي علينا لمصلحة العدو، وذلك من خلال وجود أخواتنا في الميدان، ومشاركتهن في المسيرات، وحضورهن في الندوات والمحاضرات ومجالس تأبين الشهداء... كلها مظاهرُ تأييدٍ ودعم ومناصرة وحضور. وهي ليست مشاركةً سطحية أو تقليدية، بل هي مشاركة واعية وهادفة.

لقد استطاع حزب الله تخطّي الحواجز التي سبّبت الفصل الحادّ بين دور الرجل ودور المرأة على الأصعدة السياسية والجهادية والاجتماعية، وأوجد شراكةً فعلية في الهم، وأخرج المرأة من دائرة التقوقع والانعزال والانحصار المنزلي إلى دائرة التأثير في البنية المجتمعية النهضوية للمقاومة. أصبحنا أمام نساء يتّخذن المواقف السياسية ويدافعْن عنها، ويترصّدن أخبار المقاومة والانتفاضة، ويراقبْن تأثير الحركة الدولية على وضعنا، ويعْملنَ للمساهمة في بناء المجتمع المقاوم. إنّها حالة تكاملية تستثمر الطاقات الفاعلة للنساء في المجتمع.

رابعـاً - المسؤوليـة والـدور

نؤكد على مسؤولية المرأة في أن تكون جزءاً من العمل الجهادي، ليس بطريقة استعراضية وإنما بطريقه واقعية، وهذه النظرة تستلزم أن يبرز دورها حيث يستلزم الأمر ذلك، فتكون مهيّأة ومعبّأة لتقوم بدورها المناسب في التوقيت والزمان المناسبين، والمثالان المعبّران على هذا الطرح وهذه الرؤيا ما حصل مع السيدة الزهراء(ع) والسيدة زينب(ع).

كنّا نقرأ في السيرة بأنّ السيدة الزهراء كانت تعلّم النساء، وتُسأل في المسائل الشرعية فتجيب، ولم نتعرّف على السيدة الزهراء(ع) كصاحبة موقف سياسي بارز إلا بعد وفاة الرسول(ص)، عندما استلزم الأمر أن تقف في المسجد بين المسلمين لتخطب خطبتها المشهورة وتعبّر عن الحق والموقف الإسلامي وموقفها من التطورات، فلم نرَ السيدة الزهراء(ع) بارزة في مثل هذا الموقف قبل وفاة الرسول(ص)، بل كانت تؤدي دورها وتكليفها في مواقع التعبئة والتربية والتوجيه، وعند بروزها في هذا الموقف، لم يكن بالإمكان أن يقوم أحدٌ مقامها، وبالتالي إن لم تقف هي فسيخسر الإسلام موقفاً سياسياً في هذه المحطة وفي هذا المنعطف.

أمّا السيدة زينب(ع)، فيكاد يكون تاريخها عادياً في الإطلالة المجتمعية العامة، فهي منصرفة لشؤونها المنزلية والتربوية وما تقوم به في ساحة عملها الإسلامي مع النساء، لكنّ عندما انطلقت مسيرة الحسين (ع) وبرزتْ كربلاء، وجدنا دورها قد برز في كربلاء وما بعد كربلاء بشكل مباشر، كإنسانة تُعبئ، وتطرح الأفكار بين الناس، وتُبرز أهداف ونتائج كربلاء، وتفضح الخصوم وتناقشهم وتتحداهم بجرأة كما حصل مع يزيد وابن زياد، ما يدلُّ على المطلوب من المرأة في أن تُحسن اختيار اللحظة المناسبة للقيام بالدور الذي لا يمكن أن يقوم به أحد غيرها، وليس المطلوب أن تكون دائماً في الموقع نفسه، لاعتبارات لها علاقة بظروفها من ناحية، وباحتياجات الساحة من ناحية أخرى، فلا نريد أن نفتعل موقفاً أو حضوراً للمرأة في أي موقع كيفما كان، نريدها أن تكون في الموقع الذي يستلزم أن تكون فيه، وتستطيع أنْ تعطي فيه ما لا يستطيع أحدٌ أن يعطي فيه غيرها، ولنا في تربية وأداء السيدة الزهراء(ع) والسيدة زينب(ع) أسوة حسنة.

خامساً - تـأميــن الخلفيــة

تحتاج المقاومة إلى خلفية داعمة لها وراء الجبهة، فلا يكفي مجرد الاستعداد للقتال وتواجد المقاومين في الخطوط الأمامية، ولا نتعقّل نجاح المقاومة إذا ما كانت مؤلفة من مجموعات مسلّحة منقطعة عن مجتمعها. لذا كانت المقاومة الإسلامية تعمل دائماً على أساس أن الجبهة هي المظهر المباشر للمواجهة، ويتضمن ما خلفها كل أشكال الدعم الأخرى الثقافية والاجتماعية والتربوية والسياسية... وهذا ما ساهم في الانتصار.

المجاهدون رمز الجهاد وتحقيق الانتصار، وكل ما في الجبهة الخلفية عوامل مساعدة ضرورية لنجاح المقاومين، فالجبهة الخلفية رصيد جهادي كبير، وتماسكها مع المجاهدين تحقق الأهداف بأعلى نتائج مثمرة.

لقد ظنّ العدو أنّ مشكلته مع المسلحين فاكتشف بأنّ مشكلته مع كل المجتمع بأطيافه المختلفة.

لا يمكن التفكير بالمقاومة الناجحة بمعزلٍ عن الضمانات الاجتماعية للمجاهدين وعوائل الشهداء والجرحى، وكذلك بتوفير المستلزمات التربوية والصحية لهم، ومن الطبيعي أن تساعد البيئة الثقافية والتربوية في تقوية هذه الجبهة. إنّ ساحتنا قوية بفضل هذا التواصل، فحالة التكافل الاجتماعي التي أنشأت عبر المؤسسات المختلفة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الرصيد الجهادي، ولم تترك المقاومة الجوانب الحياتية محل الحاجة لعوائل المجاهدين والشهداء والناس، كي لا تشكّل الثغرة الخلفية القاتلة التي تؤذي مسار الجهاد.

سادساً - الضعف قوة في مجاله

لسنا بحاجة للتقليد الأعمى والمشابهة للآخرين في محاولة إخراج المرأة بصورة استعراضية أو ملفتة للنظر، فالأمر ليس مميزاً على المستوى الجهادي، بعبارة أوضح، لم تلجأ المقاومة للتعبئة العسكرية للنساء، ولم تقم بجهد واسع له علاقة بالتدريب وتهيئة الأخوات للقتال المباشر. ربما كان هذا الأمر محل تساؤل داخلي وخارجي في آنٍ معاً، لكن القرار الذي اتخذته المقاومة في هذا الشأن، هو أنّ عدد الشباب المستعدين للقتال يكفي لساحتنا بالنسبة لمساحتها ومتطلباتها، فلماذا نزج الأخوات في هذه المعركة؟؟ فلنترك الأخوات عامل احتياط للمواقف المناسبة والضرورة المناسبة، وهذا منسجمٌ مع التكليف الشرعي الذي يكلّف الرجال بالقتال ولا يكلّف النساء به.

أبقت المقاومة العنوان النسائي المستخدم في المعركة قوياً من خلال قوة الحماية الخلفية التي يؤمنها المجاهدون، إضافة إلى دورهن في التعبير والتظاهر والدعم والموقف، وكلها أقوى من القوة العسكرية لدى المرأة. لا يجوز

تعطيل القوة الذاتية الموجودة عند الأخوات في الضعف الإلهي الذي بثّه فيهن، فدورهنّ منسجم مع ما أودع الله فيهن، وهنّ أنجع في الدور الإعلامي والثقافي والتعبوي والتربوي، ما يساعد على تحقيق الأهداف والنتائج التي لا يمكن تحقيقها بعسكرة أداء الأخوات، ما يدعونا إلى تجنب الدور العسكري المباشر لهنّ، وبالفعل لاحظنا أن الدور النسائي في هذا الاتجاه كان دوراً مؤثراً سواءً في الجنوب أو البقاع الغربي أو القرى المحتلة، ولولا هذا التميُّز وهذه الخصوصية للمرأة لم يكن بالإمكان أن نحصل على هذا الدور المتكامل مع المقاتلين، لقد لمسنا ثمار هذا التكامل في الساحة بشكل عملي..

سابعاً - الأنسنة والمسار الإسلامي

توصّلت مسيرتنا الإسلامية الجهادية إلى تحويل الاهتمام النسائي من الشؤون الدنيوية المادية وما يستغله الغرب فيها إلى الاستقامة والحجاب والموقف، وهذا الأمر ليس سهلاً. هناك فرقٌ بين أن يكون الحجاب نتيجة تثقيف ديني بحت، وبين أن يكون الحجاب نتيجة ارتباط جهادي منطلق من الموقف الديني، فالالتزام الديني العادي أمرٌ تقليدي بشكل عام، ولكنّ الأداء الجهادي يحمل تحدياً، إنّه تحدٍ سياسي وتحدٍ جهادي وتحدٍ ثقافي.

الحجاب اليوم أفضل بكثير منه قبل عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة، فهناك تحول شبابي على مستوى الأخوات باتجاه الحجاب، حيث أخرجن الحجاب من الدائرة التقليدية والأعراف الاجتماعية إلى الالتزام الذي يتحدى ويأخذ أبعاداً تتجاوز مجرّد اللباس إلى الطاعة الهادفة، إنّه لباسٌ يحمل كل معاني الجهاد والموقف والتضحية، وهذه نقطة مهمة في الاستفادة من القطاع النسائي لتوجيه الاهتمام باتجاه الالتزام والاستقامة في مقابل الإغواء وعيش الجسد.

كما استطاع حزب الله أن يخرج من دائرة التعلق بالعناوين الغربية التي

تتحدث عن حقوق المرأة، فلم يكن بحاجة لاستعارة هذه العناوين والاستغراق في الحديث عنها، وهي مادة دائمة في الاستخدام الغربي بسبب عوامل تاريخية وظروف خاصة لديهم، بل انصرف إلى تكوين المنظومة الإسلامية في حياة المرأة بصرف النظر عن ردة الفعل على المنظومة الغربية، فلم يكن العمل النسائي يجيب عن أسئلة حقوق المرأة المطروحة في الغرب فقط، بل كان يعبِّر عن طبيعة نظرة الإسلام للمرأة، ويعطي النتائج المتوخاة كثمرة لهذا الالتزام، مع إمكانية الإجابة عن أي ملابسات من خلال المنظومة الكاملة للإسلام. فإذا استطاع في العمل النسائي أن يحلّ هذين الإشكالين: إشكال النظرة الإغوائية للمرأة، وإشكال عناوين التحرر التي أصبحت ضاغطة كعناوين يطرحها الغرب، واستبدلهما بأنسنة المرأة بدل إبراز أنوثتها، واعتمد الإسلام كمسار تشريعي لحاجاتها ودورها، نكون قد حصلنا على إيمانٍ والتزامٍ إسلامي وسرنا في الطريق الصحيح.

ثامناً - المقاومة واجب

في الوقت الذي تُعد المقاومة عدتها وتوفِّر المقومات المادية اللازمة لها، لا تغفل في أية لحظة عن إيمانها بأنّ النصر من عند الله تعالى، أمّا متى؟ وكيف؟ وأين؟ فعلمه عند الله تعالى، وما علينا إلاّ أن نقوم بتكليفنا وواجبنا في الدفاع عن الأرض ورفض الاستسلام، وقد ساعدت هذه الرؤية على الطمأنينة النفسية والروحية عند المجاهدين والمجاهدات، فلم يعد النصر هدفاً ولا الشهادة هدفاً، إنما الهدف هو القيام بالواجب سواء أدّى إلى النصر أو الشهادة.

عندما اتجهت المقاومة باتجاه الشهادة الكربلائية، ظن البعض بأنّ الشهادة الكربلائية هي إطلاقٌ للإمكانات في دائرة الموت والقتل، وهذا أمرٌ خاطئ، فالشهادةُ الكربلائية قرارٌ والتزامٌ واستعدادٌ بسلوكِ هذا الطريق الذي يمكن أن يؤدي إلى الشهادة، ولا يُسأل سالكوه عمّا بعد الشهادة طالما أن

الشهادة توصلُ لمرضاة الله تعالى، فإنْ لم تحصل الشهادة فالنصر هو النتيجة الطبيعية لهذا السلوك الجهادي. المقاومون لا يرمون بأنفسهم إلى التهلكة، ولا يذهبون إلى الجهاد من دون تخطيط وإعداد العدة والقيام باللازم، من هنا كان الأداء المقاوم أداءً حكيماً ومبرمجاً ومنظماً، وكانت التوجيهات السياسية لقيادة المقاومة توجيهات تأخذ بعين الاعتبار كل الظروف والمعطيات، وقد أديرت المعارك المختلفة إدارة ناجحة وحكيمة، ولم تكن يوماً غوغائية، ما أدهش العالم.

ظنُّوا بأنّ المقاومة مندفعة إلى درجة التهوُّر وجرِّ الآخرين معها، فتبيّن أنّها مقاومةٌ مندفعة بشجاعة لكنْ بحكمة، وهي تعرف إلى أين ستصل، واندفاعتُها مقيدةٌ بانضباطٍ شرعي، وليست عشوائية، وهذا ما أثبتته التجربة في كل المتابعة العسكرية والثقافية والسياسية، ما جعل للمقاومة مكانة حقيقية عند الناس والعالم. وهي ليست جيشاً نظامياً بل مقاومة، تعمل بمبدإ الكرِّ والفرِّ، وليست على عجلة من أمرها لتحقيق إنجازات ميدانية، فهي تثابرُ لتحقق أهدافها بثبات، لتستمرّ شعلةُ الجهاد، فتنتصر في اللحظة المناسبة التي تأتي بعد حين بإذن الله تعالى. إنّ المطلوب استمرار شعلة الجهاد في فلسطين وفي كل موقع يتطلب ذلك، مهما تأخّر وقتُ النصر، ومهما كانت التعقيدات، فإنّ أصحاب الحق منصورون بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[1].

صدق الله العلي العظيم.

١- سورة **الصافات**، الآيات: ١٧٢-١٧١.

المحاضرة الخامسة

المرتكزات السلوكية
للمقاصد التربوية عند حزب اللّه

المرتكزات السلوكية
للمقاصد التربوية عند حزب اللّه*

أول الطريق حسمُ الاتجاه، فهو الأساس الذي تُبنى عليه القواعد والتفاصيل، وقد انطلق حزب الله باختيار الإسلام عقيدة وشريعة، والالتزام به كمشروع متكامل في الحياة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1]، فهو يُغنينا عمّا عداه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[2]، ويؤدي إلى كمال البشري لكمال الموجِّه.

هذا الدين عبادة لتوجيه السلوك في الحياة الفردية والعامة، ونظام للأسرة والمجتمع والدولة، وسياسة لشؤون الأمة العادية والمصيرية. لا تصحُّ محاصرته بين الجدران، ولا يمكن تعميمه بالإلزام، ولا نحقق أهدافه إلاّ إذا اعتمدنا الفهم الشرعي المواكب لحيوية النص ومتطلبات الحياة، وفق أسس الثابت من النص بالمحافظة على ثباته، والمتغيِّر منه بدراية وحكمة مواكبته.

---

* ألقيت المحاضرة كجزء من سلسلة الحلقات البحثية حول: "حزب الله، الهوية والمنطلقات الفكرية"، التي أقامها معهد المعارف الحكمية.

١- سورة آل عمران، من الآية: ١٩.

٢- سورة المائدة، من الآية: ٣.

هذا الدين تزكية للنفس في مواجهة أوامر السوء الصادرة عن وسوسات النفس والمخلوق، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[1]، وعزة للمؤمنين في مجتمعهم، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ورفض للركون إلى الظلم والعدوان والاحتلال، ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[3].

هذا الدين جهاد وتضحية، وأمل بنصر الله وتحقيق وعده في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4].

هذا الدين طاعة وانقياد وتسليم، بعد إيمان واعتقاد، للتمحور حول القيادة الأصيلة المجاهدة القادرة على تطبيق تعاليم الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[5].

على أساس هذا الفهم والالتزام، بنى حزب الله مرتكزاته السلوكية، فسبق أداؤه تنظيره، وتحققت الممارسة العملية قبل التقنين والتأطير، وتوضّح المسار الجهادي والأخلاقي بسرعة فاقت الحديث عنهما، فكان أمام تجربة عملية لم يتسنّ للقيمين عليها أن يمهدوا لها بنقاشات نظرية ومؤلفات، لكنهم استفادوا من الرصيد الإسلامي العظيم لنبينا(ص) وأئمتنا(ع) وعلمائنا المجاهدين،

١- سورة الناس.

٢- سورة المنافقون، من الآية: ٨.

٣- سورة هود، الآية: ١١٣.

٤- سورة التوبة، الآية: ١١١.

٥- سورة النساء، من الآية: ٥٩.

وما بثّه قائد الأمة الإسلامية الإمام الخميني(قده) ومن بعده الإمام الخامنئي(حفظه الله) في مسيرة الحزب، وما تمت الاستفادة فيه من تجربة الحرس الثوري الإسلامي الإيمانية والجهادية، وما راكمته التجربة الحيّة من بلورة لرؤى واكتشاف لأساليب عزّزا ما نراه اليوم من خصوصيات للمقاومة الإسلامية في لبنان.

سأحاول في هذا البحث أن أحدّد بعض المرتكزات التي تحقق أهدافاً تربوية فعلية، من دون ترتيبها بحسب الأولوية أو الأهمية، فالترابط والموازاة بينها يُفقدان القدرة في كثير من الأحيان على التحديد القطعي للأسبقية، وإن كان بروز أهمية بعضها غير خاف في طيات الكلام عنها.

أولاً: التربيـــة الجهـاديـــة

اقترن تأسيس حزب الله بقتال إسرائيل إثر اجتياحها للبنان عام ١٩٨٢، ولم يكن شعار الجهاد نظرياً، بل أراده المؤسسون حقيقة واقعية محورية، فانصبّت كل الجهود للتأكيد عليه، بل اعتُبرت جميع الأنشطة الأخرى كالعمل السياسي والاجتماعي وغيرهما عوامل مساعدة لمساندة العمل الجهادي، خاصة أنّه انطلق من أمرين:

الأول: احتلال الأرض، والقناعة بأن تحريرها لا يتم إلاّ بالمقاومة.

الثاني: التكليف الشرعي، في إعلان ولي الأمر الإمام الخميني(قده) وجوب قتال إسرائيل وطرد الاحتلال، فتحققت بذلك مشروعية القتل والقتال، وتعلّقت المسؤولية في رقاب المؤمنين القادرين على ذلك، ولا ريب في أجر الشهادة للمجاهدين في هذا السبيل.

وقد قرّر الحزب خطوات عدة لتحقيق هذا الاتجاه:

١- اشتراط الخضوع لدورة عسكرية كشرط من شروط العضوية في الحزب،

سواء أكان متفرغاً او تعبئة، كي يمتلك الحد الأدنى من القدرة على القتال، ليساهم في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي بحسب قدرته ومهمته.

٢- خضوع جميع المتفرغين وأفراد التعبئة لنظام المرابطة، الذي يحدد الفترة الزمنية للمشاركة العسكرية الميدانية في الخطوط الأمامية أو الخلفية، والتي لا تستلزم ترك عمل الفرد المعيشي، لكنّه يكون جزءًا من الاحتياط الذي يأخذ موقعه وتحدد مهمته أثناء الحرب. ولا يخفى ما لهذه المشاركة من أثر تربوي ومعنوي في تعزيز الروح الجهادية، وفي الشعور بالمساهمة الميدانية، وقد عبّر الكثير من الأخوة المرابطين عن أهمية الشحنة الإيمانية التي تزوّدوا بها خلال برامج المرابطة وأجوائها.

٣- تمييز المجاهدين المتفرغين للعمل المقاوم بالعناية والاهتمام والتقدير وبعض الاهتمامات الأخرى، واعتماد الدورات والنجاح الميداني كسلّم للترقية في مواقع المسؤولية في الجسم الحزبي.

٤- إعطاء الفرصة للمناصرين للخضوع لدورات عسكرية محدودة أو المشاركة في المرابطة، فلا يقتصر الأمر على التدريب العسكري فقط، بل يواكبه برنامج ثقافي وإيماني يؤثر بشكل واضح في تربية الأفراد.

٥- الخطاب العام لقيادة ومسؤولي حزب الله، والذي يحمل نفَساً تعبوياً جهادياً مضافاً إلى التحليل السياسي وشرح الموقف، ولا يخلو خطاب أو توجيه من الحديث عن الجهاد والمقاومة، وآثارهما الدنيوية والأخروية، مع تقديم الأمثلة والشروحات والأدلة الواقعية لإثبات المدّعى وترسيخه في النفوس.

٦- الاهتمام بآيات وروايات الجهاد من القرآن الكريم والسنة الشريفة للنبي(ص) والأئمة(ع)، وإعطاء الدروس الخاصة والعامة التي تتحدث عن هذا الموضوع من جوانبه المختلفة، في المساجد والحسينيات والمراكز والدورات

الثقافية والعسكرية.

وقد بلغ حجم الاهتمام بالتربية الجهادية في سنوات التأسيس الأولى، إلى رفض توصيف حزب الله بأي وصف آخر غير: "الحركة الجهادية"، للتأكيد على أهمية الجهاد، ولتثبيته في خط حزب الله، وللمخاوف على مستوى الاهتمام بالعمل الجهادي من أن يتأثر بسبب حجم التضحيات من جهة، وقلّة المناصرين والمؤيدين من الناس من جهة اخرى، إضافة إلى جاذبية العمل السياسي والاجتماعي في الاستقطاب والمقبولية.

كان "التخوُّف في بداية الأمر، من ضياع المقاومة عند الاهتمام بالعمل السياسي، بأن تستدعي متطلبات العمل السياسي تنازلات ومراعاة في الأداء المقاوم، الأمر الذي يسيِّس المقاومة في دائرة الحرص على العلاقات ومطالب الأطراف. وقد زال هذا التخوف بعد أن قويَ عود المقاومة وأثبتت نفسها وحضورها، وتركزت صياغة تعريف حزب الله بما يقطع الجدل ويحسم العلاقة بين الجهادي والسياسي فـ"حركة حزب الله حركة جهادية هدفها بالدرجة الأولى جهاد العدو الصهيوني" و"أنّ الجهد السياسي الذكي والحكيم يستطيع ويجب أن يكون السّند والدعم لهذه الحركة الجهادية"[1].

أثبتت تجربة العمل الجهادي: قدرته التعبوية الكبيرة التي طالت شرائح المجتمع المختلفة، وأسبقيته على الأبحاث النظرية البحتة في تحشيد الطاقات، وجاذبيته في الاستقطاب، وصلابته مع التضحيات وعطاءات الشهداء، وقد لاحظنا النمو السريع في الساحة والميدان أكثر مما كنا نتوقع من خلال القراءة والتحليل. وازداد هذا الأمر مع الانتصارات التي حققتها المقاومة الإسلامية في عدواني تموز ١٩٩٣ ونيسان ١٩٩٦، وبعد ذلك من خلال الانتصار الكبير بتحرير الأرض في أيار ٢٠٠٠.

١- حزب الله: المنهج، التجربة، المستقبل، للشيخ نعيم قاسم، ص:١١١.

ساهمت النظرة إلى الشهادة والشهداء، وتكريم الشهداء، والاهتمام بعوائلهم، في إرساء الرغبة بالشهادة عند الشباب، وتقديم الجسد لعلوّ المقام الأخروي، وتحقيق أهداف الأمة في الدنيا. وتحوّلت الشهادة إلى مفردة طبيعية بل مطلوبة، حتى أن الشباب تمنّوا تحقيقها في محطات مختلفة من أدائهم، وبكى بعضهم عند قلّة فرصها، وأصرّ البعض الآخر على تقديمه في العمليات الاستشهادية، بل وصل الأمر إلى مطالبة اخواتنا بالسماح لهن بالاستشهاد، وتحوّلت الشهادة إلى عزٍّ في العائلة، يحمله الطفل كعنوان دافع للمزيد من الجهد أملاً بالتوفيق إليها عند شبابه، وتتحمل المرأة نتائجها طلباً للأجر والرضا الإلهي. فثمار التربية الجهادية على الشهادة فعّالة في رفد المسيرة بالمزيد من العطاء، وفي حمايتها عند كثرة التضحيات.

أحدثت التربية الجهادية تغييراً بنيوياً في الشخصية الحزبية والمناصرة، وأثّرت على نمط التفكير والفهم السياسي، وقدّمت نموذجاً في الأداء الإسلامي، وحققت فرادة طبعت حزب الله بطابعها ما ميّزه عن غيره من الحركات الإسلامية بوضوح خصوصيته الجهادية وانعكاساتها، وأدّت إلى اندفاعة الشباب نحو العطاء والتضحية، كما أثّرت في الواقع العام المحيط بالحزب في تعديل اتجاه الإستكانة والقبول بالأمر الواقع إلى الاستعداد للرفض والمساهمة بدرجة ما في مواجهة أعباء الاحتلال.

ثانياً، ولاية الفقيه

تحتاج الجماعة والأمة إلى قيادة توجّهها وترعى شؤونها، وذلك من موقع المسؤولية وعدم الاكتفاء بالنصيحة والإرشاد عن بُعد. فقد بلّغ رسول الله شريعة السماء، وأوصل ما أراده الله من أوامر ونواهي الإسلام إلى البشرية، فمن ارتبط بالإسلام أخذ عنه كما أخذ عن القرآن الكريم: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1]، وفي آنٍ معاً قاد المسلمين في حروبهم ودولتهم وتنظيم شؤونهم العامة ليحكموا بما أنزل الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2]. ثم ناب الإمام المعصوم عن النبي في مهامه، ولا بدّ أن ينوب الفقيه بعد ذلك لتستمر المسيرة وإلاّ حصل فراغ وتشتّت الأمة. يقول الإمام الخميني(قده): "فتوهُّم أن صلاحيات النبي (ص) في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين(ع)، وصلاحيات أمير المؤمنين(ع) أكثر من صلاحيات الفقيه، هو توهُّم خاطئ وباطل. نعم إنّ فضائل الرسول(ص) بالطبع هي أكثر من فضائل جميع البشر، لكن كثرة الفضائل المعنوية لا تزيد في صلاحيات الحكم. فالصلاحيات نفسها التي كانت للرسول(ص) والأئمة(عم) في تعبئة الجيوش، وتعيين الولاة والمحافظين، واستلام الضرائب وصرفها في مصالح المسلمين، قد أعطاها الله تعالى للحكومة المفترضة هذه الأيام. غاية الأمر لم يعيِّن شخصاً بالخصوص، وإنما أعطاه لعنوان العالم العادل"[3].

من الخطاء تصوُّر دور الولي الفقيه في المواقع التنفيذية التفصيلية، لأنّه يرسم الخط العام ويعطي الشرعية للاتجاه، ثم تتحمل الجهات والقيادات المعنية مسؤوليتها بالكامل بحسب أنظمتها التفصيلية وإدارتها المنسجمة مع ظروفها وواقعها.

انعكس الالتزام بولاية الفقيه على أداء الحزب بتحقيق نتائج أبرزها:

١- تحديد مسار الأهداف والوظائف المترتبة على الخط العام للحزب، ومسؤولية الأفراد تجاهه عند الانضواء تحت لوائه.

٢- اكتساب شرعية العمل الجهادي والسياسي والتنظيمي، والرؤية المتبناة

١- سورة الحشر، من الآية: ٧.

٢- سورة المائدة، من الآية: ٤٤.

٣- الحكومة الإسلامية، للإمام الخميني، ص:٨٦.

من قبل قيادة حزب الله، مع كل ما يترتب عليها من آثار، وارتفاع القلق عن المسؤولية ومدى تحملها أمام التطورات والأخطار المحدقة، والاطمئنان إلى المكاسب العملية للالتزام بهذا التكليف الشرعي مهما كانت النتائج.

٣- حسم الجدل والاختلاف في المنعطفات بسرعة وتسليم، وذلك بإبداء وجهات النظر والنقاش بنقاط الخلاف، ثم الحصول على الموقف الشرعي للقضايا الكبرى الأساسية، ما جعل لكل معضلة حلاً، وهذا ما أراح القيادة في اللحظات المصيرية، وأراح القاعدة بالاطمئنان إلى سقف القرارات المتّخذة.

٤- الالتزام بأوامر القيادة الفعلية للحزب، والمتمثلة بأمينها العام وقيادة الشورى، واعتبار هذا الالتزام تكليفاً شرعياً يتطلب من كل الأعضاء تنفيذه ضمن القنوات التنظيمية المعتمدة، حيث يتم إبداء الرأي ومناقشة وجهات النظر المختلفة، ويعود الحسم في نهاية المطاف لقيادة الشورى، ليصبح قرارها مُلزماً للجميع.

إنّ التعوُّد على الطاعة والالتزام بالتكليف داخل الحزب، قد حقّق التماسك الداخلي من ناحية، والقدرة على تنفيذ التوجهات القيادية من ناحية أخرى، على الرغم من احتمال وقوع بعض الأخطاء في ممارسة الآمرية على الأفراد وفي بعض المواقع المسؤولة، حيث يمكن معالجتها عند اكتشافها، لكنّ الإيجابيات التي تحققت من الالتزام والطاعة، جعل البنية التنظيمية متماسكة، وتم تجاوز أخطار التفكك الناشئة عن الجدل والتباين في الآراء. فمحلُّ النقاش داخلي وفي دوائره المناسبة، على أن يخرج الجميع بأداء موحّد عند إعلان الموقف وممارسة مستلزماته المنسجمة معه في الواقع العملي.

لا توجد جماعات متعددة أو أجنحة متصارعة أو اتجاهات فكرية وسياسية وجهادية مختلفة داخل الحزب، بل مواقف واحدة يعبِّر عنها الأفراد بحسب إمكاناتهم، ولم تُصبْ التحليلات الصحفية أهدافها عندما حاولت إظهار وجود

تباين أو اتجاهات مختلفة.

هذا التماسك الصلب والانضباط العام والصورة الواحدة نتاج الإيمان بفكرة ولاية الفقيه ووجوب الالتزام بالتكليف، وهو ما انعكس في تفاصيل الطاعة والانضباط على مستوى عناصر الحزب كافة.

ثالثاً: حب الرسول(ص) وآل البيت(ع)

يشكل الحب الدافع للعمل الذي يرضي الحبيب مهما كان صعباً وشاقاً، وتأكيد الله تعالى على أولوية محبته في مقابل محبة الأمور الدنيوية دفعٌ باتجاه الاستماع لأوامر الحبيب برضى وفعالية، وإلاّ فالخسارة واقعة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1]، ولا بدّ أن ينعكس هذا الحب على العلاقة مع الرسول(ص) والأئمة(ع) فهم القدوة والقادة، ومن معينهم نستمد العزيمة والإقدام، قال رسول الله(ص): "**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله عزّ وجل، وأحبوا أهل بيتي لحبي**"[2]. فالحب ارتباط ومسار وليس مجرد علاقة عاطفية عابرة.

اهتم الحزب بتأجيج العلاقة العاطفية مع الرسول(ص) وآل بيته(ع)، من خلال إحياء ذكريات ولاداتهم ووفياتهم، والمناسبات الرئيسة التي ميّزت مسيرتهم، كذكرى المبعث النبوي الشريف، وشهر رمضان بمضمونه ومناسباته، وعيد الغدير، وعاشوراء، ويوم ولادة الإمام المهدي(عج) بخصوصيته المستقبلية،

١- سورة التوبة، الآية: ٢٤.

٢- علل الشرائع، للشيخ الصدوق، ج١، ص:١٣٩.

وشجّع على زيارة المراقد الشريفة للأئمة(ع)، وساعد في توفير فرصة الحج لعدد من الشباب، واعتبر إحياء الشعائر في أجواء جماعية عاملاً مساعداً في التعبئة الثقافية والروحية.

ولا يخفى أهمية الأجواء التي توفرها هذه المناسبات، فعاشوراء مثلاً، محل اهتمام واسع من الحزب في القرى والبلدات وفي أحياء المدن الكبرى، وهي تشمل الرجال والنساء والأطفال، وتتمُّ العناية بنوعية القراء ومضمون القراءة لتوفير المخزون المعرفي المناسب واستدرار الدمع المغذّي للعاطفة والحب. عاشوراء بما تحمل من وعي إسلامي أصيل وموقف جريء وشهادة في سبيل الله وقدرة مميزة، شكّلت الحاضنة التربوية الرئيسة لأعداد كبيرة من روّاد مجالس عاشوراء، وأدّت إلى تعزيز الحالة الجهادية على المستوى العملي، ورفدت المسيرة بمحبي الجهاد والمجاهدين، فبركات عاشوراء أكثر من أن تُحصى، إذ يكفيها ما تعبِّر عنه من استمرارية للرسالة المحمدية الأصيلة، فعن الرسول(ص): "**حسين مني وانا من حسين، أحبّ الله من أحب حسينا**"[1].

وتستحوذ ذكرى ولادة الإمام المهدي(عج) على الاهتمام الاستثنائي، لأنه صاحب الراية المنتظر من سلسلة الأئمة الأطهار(ع)، ويتجاوز الاهتمام يوم الخامس عشر من شهر شعبان المبارك إلى إحياء هذه الفكرة وتأكيد هذا الانتظار من خلال عناوين عدة منها: تسمية الدورات الثقافية التي تُعطى للمحازبين والأنصار بمستوياتها الثلاث باسم الإمام المهدي(عج): جنود الإمام المهدي(عج)، وأنصار الإمام المهدي(عج)، والممهدون، ليعيش المشارك في هذه الدورات خطوات سيره في الإعداد الثقافي والروحي نحو انتمائه وارتباطه بحركة الإمام المهدي(عج) عند ظهوره الشريف، وتسمية كشافة الإمام المهدي(عج)، ومدارس الإمام المهدي(عج) التعليمية، وذكر الإمام في

١- **الارشاد**، للشيخ المفيد، ج٢، ص: ١٢٧.

استهلال الخطب أو في أثنائها، والتأكيد على أن عمل المقاومة الإسلامية يصبُّ في مشروع الإمام (عج)، وأن الولي الفقيه الإمام الخامنئي(حفظه الله) ومن قبله الإمام الخميني(قده) نائب الإمام المهدي(عج) ليسلّمه الراية في حال ظهوره وهو يحملها كقائد للأمة الإسلامية، وكثرة اللّهج بذكره وتأكيد الانتماء إلى مسيرته وقيادته.

هذا التركيز على النبي واهل البيت(ع) يعزّز الارتباط بالقدوة الحسنة، ويستمد من تجاربهم وعطاءاتهم ما يناسب ويحاكي تطلعات وقدرات وانسجام المؤمنين على اختلاف أمزجتهم حيث يختارون ويأخذون من هذه الثلّة المباركة ما يؤنسهم ويعينهم في حياتهم وأدائهم، فتنوُّع أدوار النبي والأئمة(ع) يغطي كل الاختيارات ما يساعد على استفادة الجميع من قدوتهم.

وهل يؤدي هذا التركيز العاطفي إلى إهمال الجانب الفكري والثقافي؟ لا، فالعمل الثقافي الدؤوب والمتواصل بإقامة الدورات والندوات والمحاضرات والمؤتمرات، الخاصة والعامة، وبناء المساجد والمجمعات الثقافية مع ما يستلزم ذلك من وجود لعلماء مربين ومتابعين، وإصدار الكتيبات والمؤلفات الميسّرة لتكون في متناول الجميع من خلال جمعية المعارف الإسلامية ومعهد سيد الشهداء ومركز الإمام الخميني الثقافي، والتي تطرح العناوين المتنوعة ذات الاهتمام التربوي والأخلاقي والروحي والجهادي، كل ذلك وغيره معه يحقق التوازن الموضوعي الذي يريده الإسلام في بناء الشخصية المتكاملة بالعلم والتزكية، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمّيّينَ رَسُولاً منْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ وَإنْ كَانُوا منْ قَبْلُ لَفي ضَلاَلٍ مُبينٍ﴾[1].

إضافة إلى ذلك، فقد وضع الحزب الضوابط التي تمنع استثمار هذا الاتجاه نحو الغلوّ، وعبّر عن ذلك بتوجيهاته وسياساته العامة في التأليف وإلقاء

١- سورة الجمعة، الآية: ٢.

المحاضرات ومجالس العزاء، واتخذ سلسلة من الإجراءات لمنع المخالفة وحماية الجسم التنظيمي مما يمكن أن يردَ إليه من بعض الأجواء المحيطة بعناصره، وهو بذلك يؤكد على أن الشريعة واضحة في معالمها وتوجيهاتها، ولا يحتاج المؤمن إلاّ للالتزام بها بحسب القواعد المعتمدة لتحديد الأوامر والنواهي، ليصل الفرد إلى أعلى المستويات الثقافية والروحية والجهادية من دون الحاجة إلى الزيادات غير المنصوص عليها واعتماد الطقوس والروايات غير المؤكدة.

رابعاً: الأنشطة الاستقطابية

توجّه الإسلام إلى المجتمع بأسره، فلحظ التشريع في تفاصيله جميع الأفراد، ولم يترك مرحلة من المراحل العمرية إلاّ وشملها برعايته واهتمامه، فتفاوتت الصلاحيات والمسؤوليات بحسب الطاقات والأدوار، قال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[1]، وقال رسول الله(ص): "**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**". فمن أراد الانسجام مع القاعدة التي رسمها في الالتزام بالإسلام، كان عليه أن يرعى جميع الناس ويحاكي متطلباتهم ويشملهم بخططه وبرامجه.

قرّر حزب الله أن يعمل بشمولية مع أفراد المجتمع، فهو ليس حزباً للنخبة ليضمّ في صفوفه العلماء والكوادر والمثقفين فقط، وليس حزباً عسكرياً يهتم بالقتال والمقاتلين فقط، وليس حزباً للتوعية العامة والتربية الأخلاقية ليبث مبلّغيه ويكتفي بالوعظ والإرشاد فقط، وليس حزباً للزعيم يربط الناس بالقيادة فقط، وليس حزباً سياسياً يجمع الناس من دون الاهتمام بالتزامهم الديني فيكتفي بتأييدهم في مواقفه فقط، إنّه حزب الناس جميعاً، بحيث يشعر الطفل والشاب والشابة والرجل والمرأة والمثقف والعادي... بأنهم جزء من مسيرة هذا الحزب، وهم معنيُّون بإنجاحه والمشاركة في تحقيق أهدافه، وهو حزب إسلامي

١- سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦.

يُعبِّر عن اهتمامات الأمة كافة، صغيرها وكبيرها على حد سواء.

إذاً كيف تتحقق هذه الرؤية في إطار تنظيمي متكامل تتوزع فيه الأدوار والمسؤوليات؟ لا يمكن الاعتماد على صيغة تنظيمية مغلقة لاستيعاب شرائح المجتمع كافة، فكان لا بدّ من إيجاد صيَغ مرنة تُحقق استقطاباً أوسع، وتُشرك الفئات المختلفة في تحقيق أهداف الحزب. وقد اتخذت هذه الصيَغ في مجملها طابع الأنشطة الاستقطابية، بمرونة تنظيمية واضحة، وبشروط مخفّفة للانتساب إليها، وإن تفاوتت حدود المرونة بين نشاط وآخر بحسب طبيعته وطبيعة الفئات المستهدفة بهذا النشاط.

فصيغة التجمع للمهندسين أو المعلمين أو الأطباء أو الصيادلة أو المحاسبين... تحقق إطاراً تنظيمياً يتعاون أفراده فيما بينهم لتحقيق بعض المطالب الخاصة بالمهنة من خلال التحرك النقابي والمساهمة فيه، وتشكّل فرصة للتعارف والتعاون بين هذه الكفاءات في الاختصاص الواحد، وتساهم في تعريفهم من خلال بعض المحاضرات واللقاءات على أهداف الحزب، وتشركهم بحسب مستوى استعدادهم في مواقف وأعمال الحزب المختلفة، فهم مؤيدون بالإجمال، ولا يخالفون توجهات الحزب الرئيسة، ويكتفي الحزب منهم بسمعتهم الحسنة في الانطباع العام من دون التدقيق في سلوكهم الشخصي.

أمّا صيغة المخيمات الصيفية أو المخيمات الاستقطابية أو الرحلات أو الاحتفالات الخاصة أو الأنشطة الترفيهية... فهي لا تشكل إطاراً تنظيمياً حقيقياً، وإنما هي تنظيم لنشاط الراغبين بها حيث توفّر فرصة للتعرف عن قرب على شخصيات من الحزب وتوجيهات عملية إسلامية تشكل جرعة محدودة في إطار العلاقة مع الحزب، قد تنمو لاحقاً بجرعات أخرى، أو باتخاذ شكل تنظيمي معين، وقد تقتصر على هذه الحدود من فترة إلى أخرى، فالعبرة بمدى استجابة المتلقي ورغبته في ذلك.

وأمّا صيغة الكشافة فهي أكثر ضبطاً مما سبقها، ولفئة عمرية بين الطفولة والشباب، لتعويدهم على تحمُّل المسؤولية والانضباط وتعريفهم على الإسلام وتربيتهم بسلوكياته وملء فراغهم وأوقاتهم بأنشطة وتسلية نافعة، ولها ربط خفيف بأنشطة الحزب، لكنه عمل تربوي بامتياز عند استجابة الأفراد وتشجيع أهلهم لهم.

وتعبِّر صيغة التعبئة التربوية عن التزام أشد بضوابط الحزب في سلوك الأفراد فضلاً عن مواقفهم من القضايا المختلفة، وأن تفاوت الأمر بعض الشيء بين المسؤولين عن إدارة العمل والمؤيدين والعاملين داخل التعبئة، فشروط المسؤولين هي شروط المحازبين، أما شروط المنضوين العامة فأقل في بعض التفاصيل شرط أن لا تُخل بالسلوك الإجمالي المطلوب للفرد، مع التأكيد على الالتزام بوجهة نظر الحزب السياسية والتربوية بالكامل.

خامساً: أنشطة قرآنية

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد، والدستور الأبدي للبشرية، والنص الثابت الذي لم تمتد إليه يد التحريف، لذا يجب أن يكون حاضراً في عقولنا وقلوبنا ومجالسنا، وأن نستوعب آياته قراءة وتجويداً وحفظاً وتزكية ونوراً وهدى، وأن يكون أول القراءة وأساس التعاليم والتوجيهات. قال رسول الله(ص): "**يا معاذ، إن أردت عيش السعداء، وميتة الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والأمن يوم الخوف، والنور يوم الظلمات، والظل يوم الحرور، والري يوم العطش، والهدى يوم الضلالة، فادرس القرآن، فإنه ذكر الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان**"[2].

١- سورة البقرة، الآية: ٢.

٢- كنز العمال، للمتقي الهندي، الحديث:٢٤٣٩.

لكل علاقة بالقرآن فوائد جمّة، ويحسُن بنا أن نهتم بكل أبعاد القرآن، فلا نقتصر على جانب دون آخر، فهو ليس مخصّصاً للقراءة فقط من أجل التبرُّك، وليس محصوراً بفهم معانيه بطريقة عقلائية فقط، ولا يناسب المسلم أن يبتعد عنه لأيام وليالٍ من دون تصفُّحه والتزوُّد منه، وتزداد لذّة قراءته مع التدريب والتعوُّد عليها وفهم معاني آياته ولو بالإجمال.

إنّ الأنس بالقرآن يتطلب القيام بمجموعة من الأنشطة التي تساعد على الارتباط به ككتاب هداية وخطاب إلهي مباشر للإنسان، منها:

١- الأمسيات القرآنية الرمضانية المتنقلة بين المساجد في الليالي المختلفة والمناطق المتعددة، بحيث يُستقدم القرّاء المتميزون، فيحضر الناس للاستماع والأنس بتلاوة القرآن الكريم وكسب الأجر في حضور هذه المجالس.

٢- إقامة دورات تجويد القرآن الكريم للعموم لتعليم أحكام التلاوة الصحيحة، وذلك في المساجد والمراكز والمدارس والمعاهد.

٣- إجراء مسابقات قرآنية عن المعاني وأسباب النزول والعبَر المستخلصة وغيرها مما يعمق البحث ويكثّف التساؤل عن مضامين الإجابات، ما يُشيع جواً ويشرك عدداً من الناس للاهتمام بالقرآن.

٤- بثُّ الأمسيات القرآنية عبر وسائل الإعلام كالتلفاز والإذاعة لتوفير فرصة الاطلاع عليها والمشاركة فيها لعدد أكبر من الناس الذين لا يتمكّنون من حضورها في أماكن إقامتها.

٥- إقامة الدروس والمحاضرات والندوات القرآنية في المساجد والحسينيات والمراكز الثقافية، وعقد المؤتمرات القرآنية، ونشر الكتيبات التي تهتم بعلوم القرآن الكريم.

٦- افتتاح الجلسات الداخلية والعامة بتلاوة ايات من القران الكريم ليبقى حاضراً في مقدمة كل نشاط، ولتعرض آيات منه على مسمع من الحضور كجزء من التذكير والتربية بهذا السفر العظيم.

هذه النماذج عن الأنشطة القرآنية تستهدف تعميق الارتباط بالقرآن الكريم، بما يمثّل من كتاب تربوي هادف لتوجيه الحياة الإنسانية.

سادساً: التثقيف والتربية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[1]. فإذا أردنا بناءً إسلامياً متيناً واعياً وملتزماً، لا بدّ من التثقيف والتوعية لتحقيق نمو معرفي يساعد على فهم الإسلام واستيعاب تعاليمه، ما يجعل الفرد مؤمناً عن قناعة وفهم، ومتبصراً بتكليفه الشرعي، ومحصناً بحسن الالتزام.

للتثقيف صيغتان:

إحداهما خاصة بالمحازبين، من خلال الدروس الأسبوعية الإلزامية، والدورات الثقافية التي يجب اجتيازها، والدروس المواكبة للدورات العسكرية وغيرها ...من خلال مناهج دراسية مقررة من الشورى، تستفيد من عطاءات وكتابات علمائنا الأعلام، وتُقدّم بأسلوب ملائم للمستويات المختلفة، وتُعرض بكمّ يتناسب مع تحقيق التنوع المعرفي في العقيدة والفقه والتفسير والأخلاق والسيرة...وتشكل هذه الدروس البنية المعرفية الموجّهة للعقلية والسلوك المنسجمين مع قناعات وأهداف حزب الله. ويعتبر الحزب مادته الثقافية الإسلامية مشذّبة مما علق بالإسلام من تفاسير ومفاهيم أخرجته عن مضمونه الحقيقي، ولا يمكن الاعتماد على أي مؤلف أو كتاب مطروح في الأسواق، فقد لا يكون محل حاجة وأولوية، وقد يكون مؤثراً في الاعتقاد والسلوك بما يخالف

١- سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

المنهج المختار على خط الولاية. كما يعتبر الحزب بناءه الثقافي محصّناً للفرد ومُعيناً له على التمييز بين الأفكار السليمة والخاطئة بحسب وجهة نظره.

ثانيتهما عامة للمناصرين والناس، من خلال الدروس الأسبوعية العامة التي يلقيها المبلغون، والدورات الثقافية الحرة التي يقيمها معهد الإمام المهدي(عج) والوحدات الثقافية في المناطق، والتحرك العلمائي بين الناس في أفراحهم وأتراحهم، وإلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، ومشاركة العلماء وقراء العزاء في المناسبات الإسلامية التعبوية كشهر رمضان وعاشوراء وموسم الحج، حيث يضع الحزب خطة متكاملة لنشر مبلغيه وتأمين الحضور في الأنشطة التعبوية والثقافية كافة ضمن مجال تأثيره ومقبوليته، كما يرسل المبلّغين إلى الدول الأخرى خارج لبنان، ليعملوا مع الجاليات في إحياء المواسم والمناسبات، بما يهيئ الفرصة المناسبة لدورة ثقافية وروحية وتربوية لمساعدة المغتربين على التزود بالإسلام، فما ينعكس منه على حياتهم يكون بقدر تفاعلهم واستجابتهم، وبالحد الأدنى يبقى ارتباطهم موجوداً بإسلامنا العظيم ويتحقق الحد الأدنى من المعرفة الإسلامية.

لا يمكن فصل المعرفة عن تزكية النفس، فالإسلام دين علم وعمل، دين معرفة وسلوك، دين عقل واستقامة، وقد حرص الحزب على تلازم تحقيق هذين الهدفين في أنشطته كافة، ويبرز الاهتمام بتزكية النفس من خلال البرامج العبادية والروحية المواكبة للدورات الثقافية والعسكرية وغيرها، فلا تخلو دورة من إقامة الصلاة جماعة في أوقاتها، وقراءة الأدعية المأثورة كاليومية وتعقيبات الصلوات ودعاء كميل والتوسل، ودعاء الحجة... وصلاة الليل بشكل اختياري في الدورات المغلقة، وإعطاء الدروس الأخلاقية والمواعظ، والتذكير برقابة الله تعالى والإخلاص له وباليوم الآخر، كما تجري متابعة دقيقة لتطور الأخ السلوكي والروحي من خلال استمارات خاصة أعدّت لهذه الغاية، ويقوم

المدير المسؤول عن هذه الدورة والمثقفون بتوجيهات فردية وجماعية حسب الحاجة. ويلحظ المدرسون المشاركة في المجالات العامة في المساجد وقراءة الأدعية المأثورة واختيار الموضوعات ذات الأثر التربوي على المتلقّين. وبطبيعة الحال فإن الالتزام الديني بالأوامر والنواهي الشرعية يعتبر مؤشراً مهماً لقياس مدى فعالية التعبئة المعرفية والروحية على الأفراد، وهو الهدف الرئيس من الأساليب والوسائل المعتمدة لنشر الدين وتبليغه في أوساط المحازبين والأنصار والناس عموماً.

عندما يتحقق الالتزام الديني عند الفرد، تصبح الضوابط الشرعية مرجعيته في حسم مواقفه الفردية والاجتماعية والسياسية والمالية وغيرها، ويعتمد الحزب في حركته التأكيد على هذه المرجعية، بحيث تكون مقياساً يعود إليه الجميع لحسم مواقفهم، فلا يوجد موقف مراعٍ للشرع وآخر خارج عن دائرة الشرع، ولا مبرر لإقحام أنفسنا في أي مجال لا ينسجم مع الحكم الشرعي، وبذلك نكون قد أضفنا سلوكاً عملياً شرعياً في مجالات اهتماماتنا السياسية والجهادية والتربوية...

ففي المجلس النيابي لا يناقش نواب الحزب ولا يشاركون في إقرار موازنة كازينو لبنان وما له صلة بالمشروبات المحرمة أو القوانين المخالفة للشريعة المقدسة، وفي تحالفاتنا الانتخابية نلتزم بتعهداتنا ونعمل للوفاء بها، ولا ندلّس على الآخرين ولا نخدعهم ولا نكذب عليهم فهذا ما لا ينسجم مع الالتزام الديني، وفي حفظ النظام المدني العام لا نقف عائقاً أمام الإجراءات القانونية بحق المرتكبين والمخالفين للنظام العام، بل نسهّل للدولة عملها ونساعدها في ذلك، وقد حرص الحزب أن يعوّض على الناس بسبب الاستخدام الاضطراري لمتلكاتهم أثناء معارك إقليم التفاح بما يضمن ما خسروه، ولم يراعِ أحداً أثناء محاكمة الدولة لعملاء إسرائيل رغم الضغوطات المكثفة من بعض الأهالي

المحبين والمضحّين، بحيث لم يصدر عنه أي كتاب أو توصية لتبرئة عميل مهما كانت الظروف، إلاّ إذا كان يعمل فعلاً مع المقاومة في اختراق العدو.

كما أكد الحزب في خطابه السياسي باستمرار على خلفية عمله الشرعية، وربط بين جهاده ضد العدو الإسرائيلي لتحرير الأرض، ومسؤوليته في محاربة الظلم والظالمين، وبين مشاركته السياسية النافعة لمكانته ودوره، وتكليفه الشرعي في رعاية حقوق الناس وحسن تمثيلهم، وبين أعماله الاجتماعية الخدماتية الملائمة لأي حركة سياسية أو اجتماعية، وإيمانه في رقابة الله له في إطعام المسكين ورعاية اليتيم وخدمة المستضعفين. إذاً لا مكان في الحزب لنشاط لا يغلفه الالتزام الديني، ولا مجال لعمل إلاّ أن يكون مقيداً بهذا الالتزام، ولا توجيه عادي أو خطير إلاّ ويراعي الضوابط الشرعية، التي تكون حاضرة قبل وأثناء وبعد العمل وخلال مقدماته التعبوية.

سابعـاً: مواجـهة التحديـات

من انتصر في داخل نفسه انتصر في حياته ومجتمعه، ومن انهزم نفسياً انهزم في الواقع العملي، وهنا تبرز أهمية المعنويات التي يتربى الإنسان عليها للتغلب على الصعوبات وتقبل التضحيات وانتظار النتائج البعيدة المدى في المستقبل.

إنّ دراسة الواقع تُبرز في كثير من الحالات حالة الضعف والانكسار، وصعوبة النهوض لقلة مقوماته، وسعة الهوّة بين قدرة الأعداء وتفرق الأصدقاء، ما يؤدي إلى الإحباط والتكاسل وفقدان الأمل، ولا يمكن تقديم الدليل الحسي المباشر على إمكانية تغيير المعادلة، فلا بدّ من استبداله بشواهد من التاريخ، والأهم من ذلك هو القيام بحملة تعبوية متعددة الاتجاهات في الثقافة والخطاب والتربية وتفسير الظواهر والاعتبار بالابتلاء... تؤكد على العزة، واستحضار

الوعد الإلهي بحتمية الانتصار ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وانتصار القلّة على الكثرة ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، وحصول التغيير في حياة الأمم فلا استقرار للسلطة والسيطرة بيد جهة مهما علا شأنها ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[3]. لتعزيز الثقة بالنفس في مواجهة التحديات والقدرة على التغيير.

فرق كبير بين الأنين من الضعف والتهيئة لتوفير القوة، بين الإحباط استسلاماً للواقع وشحذ الهمة من أجل التغيير، بين البكاء على الاطلال واستشراف العوامل الإيجابية للنصر المستقبلي، بين الخضوع للظروف المحيطة والتمرُّد عليها لرفضها مهما بلغت حجم التضحيات.

وقد اختار الحزب أن يزرع الأمل، ويشحذ الهمم، ويهيئ أسباب القوة، ويبحث عن العوامل الإيجابية المساعدة، ويعمل بحكمة ودراية، ويحدد أهدافه ساعياً لتحقيقها، ويلغي من قاموسه الاستسلام والخضوع للذل والاحتلال والظلم. ولهذا المسار خطاب تعبوي داخلي وخارجي، وتثقيف منهجي لاستكشاف مقوِّمات القوة والتغيير، ربما وجده البعض عاماً وغائماً ومفتقراً إلى الأسباب الموضوعية، لكنه ضروري بلحاظ رسم الهدف وإيجاد الثقة بالنفس، والإيمان بالنصر العاجل أو الآجل على يد الإمام المهدي (عج).

وهو خطاب لا يتعارض مع حسن الإعداد للحظة وتوفير أسبابها المادية المتقنة والقيام بالإجراءات الموضوعية، من دون نسيان العامل الغيبي وتأثيراته، وتسديد الله للمؤمنين ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[4]، ليس على قاعدة إغفال المقدمات الضرورية والقيام بالاستعدادات اللازمة، لكن على

١- سورة الروم، من الآية: ٤٧.

٢- سورة البقرة، من الآية: ٢٤٩.

٣- سورة آل عمران، من الآية: ١٤٠.

٤- سورة الأنفال، من الآية: ١٧.

قاعدة عدم انسداد الأمل والأفق بسببها، بعد الإعداد لما توفر بالاتكال على الله تعالى، فما يخفى علينا من نتائج لما أعددناه أكبر بكثير مما نعلمه بوسائلنا المحدودة، قال تعالى:﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1]، فعلينا العمل بما أمكن، وعلى الله التوفيق والتسديد.

أثبتت هذه النظرة فعاليتها في انتصار المقاومة الإسلامية على إسرائيل بإخراجها في أيار ٢٠٠٠م من لبنان، والانتصار الاستراتيجي على العدوان والحرب الإسرائيلية على لبنان في تموز ٢٠٠٦، فالإعداد الدؤوب على الرغم من عوامل الضعف الكثيرة في ساحتنا عام ١٩٨٢، والصبر على التضحيات، والثقة بالله وبالنفس، وحجم التوقعات الإيجابية املاً بنصر الله تعالى باحدى الحسنيين، وغيرها من العوامل التي ساعدت على تحقيق هذا الانجاز الكبير، لم تكن بمعزل عن التعبئة المكثفة في الخطاب والأداء لمواجهة التحديات الكبيرة.

ثامناً: الخطاب السياسي

يستحوذ تحديد الموقف السياسي في الحزب على كثير من الجهد والوقت والنقاش، وبناء على دراسات وتحليلات وقراءات تقدمها المجالس المختصة، إذا ما كان الموقف جديداً أو يشكّل منعطفاً هاماً على الساحة، وتنساب المواقف التفصيلية بسهولة ويسر بعد حسم الخطوط العامة للموقف الرئيسي. وتهتم قيادة الحزب بإصدار قرارات واضحة لتحديد معالم المواقف الرئيسية، وتبيان أسبابها الدافعة ونتائجها المتوخاة، كما تُصدر القرارات المتعلقة بالسياسات العامة الواجب اتباعها للعلاقة مع القوى والأحزاب والفاعليات المختلفة،

١- سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

وفي كل نتيجة من نتائج الصمود الأسطوري لهؤلاء الشرفاء.

٢- التأسيس والتأصيل:

ليست المقاومة ردة فعل سطحي وعفوي، بل هي ردة فعل تأسيسي وتأصيلي. أمّا الفعل التأسيسي في بنية مشروع المقاومة الفكري والسياسي، فهو الذي ينظر إلى الحالة الصهيونية في منطقتنا كخطر داهم ومستمر باستمرارية هذا الكيان التوسعي، وأنّ مواجهته تحتاج إلى بنية متينة، تتعرف على واقع وحقيقة هذا العدو، وتؤسس بما يكون مؤهلاً لمواجهته ومواجهة أهدافه ومشاريعه ضد منطقتنا وبلدنا.

أمّا الفعل التأصيلي فهو الذي يتعاطى مع المقاومة كمشروع متكامل، لا يكفي معه السلاح للمواجهة، بل لا بدّ من حشد كل المقومات الثقافية والسياسية والإعلامية والتربوية والعسكرية... من منظور سيادتنا واستقلالنا وحريتنا في بلدنا ومنطقتنا، وفي إطار تكاملي للنهوض بهذه المهمة. فالتأصيل خروج عن تسطيح الفعل المقاوم وآنيته، إلى تثبيت قواعده تحقيقاً لاستمراريته، وكذلك هو الاستفادة من المرتكزات الفكرية والمعنوية التي تصوّب التوجيه في المسار الطويل نحو الهدف.

من هنا فإنّ الحديث عن المقاومة لم يعد يجدي معه تسليط الضوء على سلاحها، فهي ليست سلاحاً مقابل الأسلحة، ولا سلاحاً في مقابل جيش الدولة، بل هي رؤيا متكاملة في مواجهة أخطر عدو في العصر الحديث، وأعقد قضية يواجهها لبنان والمنطقة. وما الانتصار الإلهي الكبير في معركة الوعد الصادق، إلاّ انتصار لهذه الرؤية، في مقابل من يريد المقاومة معبراً سياسياً مؤقتاً لتحسين بعض الشروط، في إطار التسليم للشرق الأوسط الجديد والهيمنة الدولية والصهيونية على وطننا وحقوقنا.

٣- القـوة المتـراكمـة:

كل شيء قابل للنمو مع التصميم والعزيمة، "**وما كان لله ينمو**"، فالمهم أن نُعدّ أنفسنا بهدف التفوق على العدو، مهما كانت إمكانات العدو، ومهما كانت بدايتنا متواضعة. قال تعالى:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[1]. فالإعداد بقدر الاستطاعة، التي تبدأ متواضعة، ثم تكبر وتزداد مع الزمن، وبما أننا بذلنا أقصى الجهد، بروحية الواثق المتكل على ربه، فإنّ النصر بالمعايير المادية والمعنوية يتحقق بشكل أكيد في مواجهة المعايير المادية البحتة.

لم يكن الاستعداد المقاوم في أي مرحلة مرتبطاً بحدود مرسومة، بل هو الاستعداد بأقصى الاستطاعة، وبتوفير مقوماتها التراكمية لتتراكم القوة معها كماً ونوعاً، من خلال الإمكانات والتدريب، والاستفادة من العلم والتقنيات الحديثة، ومراكمة التجارب والخبرات.

ولا عجب أنّ ظنّ بعض المحلّلين عند إنجاز التحرير في أيار ٢٠٠٠، بأنّ مهمة المقاومة قد انتهت، وأن دافعيتها للعمل قد تضاءلت، وأنّ الظروف المستجدة ستضعها أمام المساءلة والتضييق تمهيداً للإنهاء، وذلك بسبب رؤيتهم القاصرة التي تعاطت مع التحرير بأنه إنجاز مهم وكافٍ، على الرغم من بقاء مزارع شبعا وتلال كفرشوبا مع الصهاينة، وبقاء الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية، واستمرارية التهديد الإسرائيلي للبنان بسبب الأطماع الصهيونية، وتجارب استخدام القوة المفرطة ضد لبنان. وكذلك لأنهم راهنوا على تعب المقاومين والشعب، وفتور همتهم، بعدما عانوه وتحملوه من تضحيات. ولأنهم رأوا عند الدول الكبرى المهيمنة قراراً حاسماً وقدرةً متوفرة لفرض ما يريدون من إضعاف لبنان في إطار الضمانات الدولية الهشة.

١- سورة **الأنفال**، من الآية: ٦٠.

لكنّ المقاومة استمرت في استعداداتها، معتبرة بأن تحرير العام ٢٠٠٠ إنجازٌ كبير وليس نهاية المطاف، بل كان الاعتقاد السائد عند قيادة المقاومة بأن ما يمكن أن يواجهنا في المستقبل قد يكون أعظم وأشرس، لذا لا بدّ من الاستمرار في الاستعداد على المستويات كافة، تسليحاً، وتدريباً، وتهيئة للمجتمع المقاوم، وتوفيراً لكل مقوّمات الصمود السياسية والاجتماعية...وقد أعلنت المقاومة في مناسبات عدة وعلى لسان قادتها، بأنّ استعداداتها مستمرة، وهي أفضل وأقوى بكثير عما كانت عليه قبل التحرير، وأنها تزداد يوماً بعد يوم، لتحذر العدو من مغبة الإقدام على خطوة حمقاء، فالتلويح بالقوة قد يوفر استخدامها، ولكن لا بدّ من استخدامها عند الضرورة، وهذا ما حصل في صد عدوان تموز ٢٠٠٦، حيث أنعم الله تعالى علينا بالنصر، ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. وبعد كل ما حصل فإنّ توفير القوة المتراكمة مطلوبٌ بحسب الاستطاعة، لأنّ الخطر الإسرائيلي لم يرتفع، ولا بدّ من الجهوزية لكل طارئ، بعيداً كان أو قريباً.

٤- حتمية المواجهة:

لو راجعنا تاريخ العدو قبل نشأة الكيان الصهيوني وبعده، لوجدناه حافلاً بالاعتداءات والجرائم والاحتلالات، وإذا أردنا تأريخ مساره فلن نجد إلاّ المجازر واحتلال أراضي ٤٨، واحتلال ٦٧ لباقي فلسطين وأراضٍ من سوريا ومصر والأردن، واحتلال ٧٨ لأراضٍ من لبنان، ثم اجتياح لبنان عام ٨٢، وعدوان إسرائيل على لبنان في أعوام ٩٣، ٩٦، ٢٠٠٦، ...ولم يكن شعب فلسطين ومقاومته، أو المقاومة في لبنان إلاّ في إلى موقع رد الفعل على هذه الأعمال العدوانية التي لم تتوقف.

فإذا رفضنا الاحتلال لأرضنا، علينا أن نستعد للمواجهة، وهي حتمية، لأن إسرائيل عدوانية وتوسعية واستيطانية، وهي تريد لبنان متّكأً لعبور سياساتها

١- سورة الروم، الآية: ٤٧.

باستخدامه في أوراق ضغطها على دول المنطقة، وجعله مركزاً لتوطين عدد كبير من الفلسطينيين، والنفاذ إليه مباشرة لتلبية احتياجاتها من بعض أرضه (مزارع شبعا وتلال كفرشوبا)، والتحكم بتوجهاته السياسية بما يخدم مصالحها، ما يجعلها تفرض شروطها على الحكم في لبنان.

هذه المواجهة مع إسرائيل ليست خياراً ابتدائياً بالنسبة للمقاومة، بل هي خيار دفاعي حالي ومستقبلي، وحيث لا يمكن تحقيق ذلك في ظروف انعدام توازن القوة مع إسرائيل، والتواطؤ الدولي لمساندتها بالكامل، لا بدّ من المقاومة كحالة ممانعة شعبية قادرة على التحرك، وتحقيق إنجاز الصمود، ومنع الأهداف الإسرائيلية من أن تتحقق في بلدنا. وهي الخيار لأي شعب يبتغي الحصول على قراره الحر المستقل على أرضه.

أدركت المقاومة أن المواجهة حاصلة، من دون معرفة بالتوقيت أو بالتطورات التي قد تؤدي إليها بهذا الشكل أو ذاك، ولا حاجة لمبررات المواجهة، فإسرائيل قادرة على أن تخترع المبرر أو أن توظف أي مبرر تحقيقاً لأهدافها. وهي تركّز في لبنان على قوته، بحيث تعمل لإسقاط هذه القوة المقاومة لإضعافه تمهيداً لإملاءاتها ومطالبها منه. لذا فإنّ عدوان تموز نتيجة الرؤية الإسرائيلية لوجود لبنان الضعيف، وليس بسبب أسر جنديين، وقد حصل في هذا التوقيت بالذات، تلبية للمطلب الأمريكي في إعادة صياغة خارطة المنطقة من جديد، ومحاولة للتأثير على الواقع الفلسطيني في داخل الأراضي المحتلة، وسيبقى عنوان إضعاف لبنان حاضراً في المشروع الإسرائيلي، رغم الخسارة الفادحة التي جنتها إسرائيل من عدوانها الأخير، وعلينا أن نُبقي على قوتنا التي تشكل صمام الأمان، الذي يدفع إسرائيل للتفكير كثيراً قبل الإقدام على أي خطوة، بلحاظ تكلفتها ونتائجها.

٥- نماذج المقاومين:

المقاومون شبابٌ من هذا المجتمع الطيب، لكل منهم خصوصيته الفردية والاجتماعية، فهم بين تلميذ وجامعي ومهندس وموظف وعامل... وهم من أعمار مختلفة من الثامنة عشرة إلى العشرين والثلاثين والأربعين...، وهم بين أعزب وخاطب ومتزوج، يملك كل واحد منهم إمكانات وكفاءات تؤهله لدوره في الموقع الجهادي، لكنهم يشتركون جميعاً بخصائص الإيمان والارتباط بالله عزّ وجل، والاقتداء بالرسول(ص) والأئمة(عم)، والجهاد، والاستعداد للشهادة، والشجاعة والإقدام، وفهم الأهداف، ومعرفة الضوابط الشرعية، والانضباط في منظومة الهيكلية التنظيمية الحزبية، وقناعتهم بالدفاع عن الوطن، ويتنافسون ليكونوا في المواقع الأمامية ضد العدو. نورهم يسعى بين أيديهم، فهم رهبان الليل وأسود النهار، لا يبحثون عن موقعٍ أو دورٍ أو سمعةٍ أو كسبٍ خاص، ويسعدون لنصرة الأمة وفوز الجماعة.

هؤلاء يفهمون معنى الحياة العزيزة، ولا يقبلونها ذليلة، يقتدون بقول أمير المؤمنين علي(ع): "**فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين**"[1]، كرامتُهم وكرامة بلدهم أغلى ما عندهم حيث ترخص دونها الأشياء، تحريرُ أرضهم يستحق كل عطاء ولا معنى لأي عطاء لا يضع أمامه هدف التحرير. أعمالهم أقوى دلالة عليهم من كلماتهم، ونتاجهم يبرز فجأة في الميدان من دون حاجة إلى الحديث عنه أو الترويج له، لا يتباهون بإنجازاتهم، ولا يضيّعون البوصلة مهما بلغت العقبات السياسية الداخلية والحسابات الطائفية والمذهبية والفئوية.

١- **نهج البلاغة**، الامام علي(ع)، من الخطبة: ٥١.

عـن أي نمـوذج نتحـدث؟

عن الاستشهاديين المستبشرين بلقاء الله تعالى، وقد أدّوا ما عليهم في هذه الدنيا، واختاروا اللحظة التي تحقق مكسباً نوعياً للمسيرة.

أم عن المرابطين على الثغور، الذين يمكثون الأيام والليالي الطوال، رصداً للعدو ودفاعاً عن الأرض والعرض والحرية والمقدسات.

أم عن أصحاب السمعة العطرة التي ملأت الآفاق، بصمودهم في مارون الراس وبنت جبيل وعيتا الشعب ووادي الحجير وغيرها.

أم عن المجاهدين الذين تعرف أسماءهم وصفاتهم بعد شهادتهم أو جرحهم، حيث بلاغة الدم والجراحات أصدق إنباءً من الكلمات.

لقد تحول المجاهدون من أبناء المقاومة الإسلامية في لبنان إلى أسطورة، وأصبحوا قدوةً وقبلةً للأحرار التوّاقين إلى الحرية والتحرير، وأسسوا لمعادلة المقاومة القادرة على حماية الوطن والأهل في مواجهة الاحتلال والعدوان، وأعادوا الثقة للأمة بقدراتها لاسترجاع حقوقها.

أعاروا الله جماجمهم فمنحهم السكينة والنصر والمكانة. فعن أمير المؤمنين علي(ع) لابنه محمد ابن الحنفية: "**تزولُ الجبال ولا تَزُلْ، عَضَّ على ناجذك، أعِرِ اللهَ جُمجُمتك، تدْ في الأرض قدَمَك، إرمِ ببصرك أقصى القوم، وغُضَّ بَصرَكَ، واعلم أنّ النصرَ من عند الله سبحانه**"[1].

٦- ميـزان المعـركـة:

لو أردنا قياس ميزان المعركة بالقوة المادية والعسكرية المتوفرة للطرفين، لرجحت قوة إسرائيل على قوة المقاومة بما لا يقبل المقارنة، بسبب الهوّة الواسعة بين قدرات إسرائيل البرية والجوية والبحرية، ومن كل أنواع الأسلحة

١- المصدر نفسه، الخطبة: ١١.

المتطورة والحديثة، إضافة إلى الجسر الجوي الأمريكي المفتوح للدعم، وبين قدرات المقاومة التي تعتمد على الكرّ والفرّ، والتي لا تقترب بأي حال من قدرة الجيوش، لكنها تتناسب مع القدرات المتاحة وطبيعة حركة المقاومة.

إذاً كيف انتصرت المقاومة الإسلامية على إسرائيل، وأفشلت عدوانها في تموز ٢٠٠٦؟

لقد توفّرت للمقاومة مقومات ترجيحية ومساعدة لم تكن موجودة لدى إسرائيل، وأهمها القوة المعنوية الحاضرة بزخمها وأعلى وتيرة لها، والمتمثلة بالارتباط بالله عزّ وجل، الذي أعطى المقاومين ثقة وطمأنينة بالدعم الإلهي والتوفيق،:﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[1]، ومهما حاولنا إعطاء تفسيرٍ مادي لهذه القوة المعنوية فسنكون عاجزين عن التعبير، لكنّ الذين يفهمون معنى الإيمان بالله تعالى وآثاره يدركون تماماً مدى القوة الدافعة والمحفزة التي تشحذ همّة المؤمن وتملأ قلبه، لتصبح قوته مضاعفة مرات ومرات عن قوته الحقيقية، ولتكون استفادته من الإمكانات المادية المتوفرة بين يديه بجرأة وشجاعة تفوق ما اعتاده الناس من فاعلية لهذه الإمكانات.

من مفردات هذه القوة المعنوية تتجلّى الشجاعة، وعدم الخوف من الموت، والصبر في الظروف الميدانية الصعبة، وتوقع الشهادة باستعداد ورغبة، وتوقع النصر بدرجة عالية. فإذا ما أضفنا العوامل الموضوعية لمصلحة المقاومة، ومنها: الحق في استعادة الأرض المحتلة، والدفاع المشروع والضروري للسيادة الحقيقية، ورفض التبعية للأجنبي، ورفض الظلم والعدوان والاحتلال كطبيعة بشرية فطرية، فستربح المقاومة بالنقاط على إسرائيل.

نستطيع أن نفهم حقيقة انتصار المقاومة الإسلامية بلحاظ العوامل المادية

١- سورة الأنفال، من الآية: ١٧.

والمعنوية، في مقابل العوامل المادية التي اعتمدت عليها إسرائيل، كما نستطيع أن نتلمس تراكم النقاط لصالح المقاومة، عندما نضيف العوامل المعنوية والموضوعية إلى أدائها، وبهذا ندرك أهمية أن لا نحصر المنافسة وتهيئة عوامل المعركة على أساس مادي بحت، لأننا سننهزم حُكماً بسبب الخلل الفاضح في موازين القوة المادية، وكل الهزائم التي أصابت الجهات الرافضة للاستعمار أو الاحتلال إنما حصلت بسبب الضعف في الاستفادة من العوامل المادية المتاحة من جهة، والعوامل المعنوية والموضوعية التي ترجح الكفة مع حسن الاستعداد وسلامة الأداء من جهة أخرى.

المقاومة قويةٌ بما توفر لها من عوامل مادية ومعنوية وموضوعية، ولا داعي للخوف أمام ترهيب الدول الكبرى لها وغطرسة إسرائيل الخائبة من عدوانها على المقاومة، وليست المقاومة في الموقع الذي تحتاج فيه للبحث عن مخرج بسبب وجودها، بل وجودها ضرورة، وقوتها المتصاعدة مطلوبة، وعلينا أن نتمسك بحضورها وجهوزيتها، فهي تمثّل الرصيد الواقعي للدفاع المشروع في مواجهة الاحتلال، وتمثّل قدرة الممانعة في مواجهة المخططات التي تحاك ضد لبنان ليكون ملحقاً بالسياسات الأجنبية والصهيونية، وعلينا أن نبحث عن الإضافات والتعاون الذي يحقّق المزيد من الاستفادة من إمكانات مجتمعنا، لتكون الجهود متظافرة ضمن استراتيجية دفاعية واضحة وواقعية، تحقّق عناوين الاستقلال والكرامة وحق الحياة العزيزة والقدرة التي تحمينا من أعدائنا.

٧- الوعد الصادق:

هو وعدٌ صادق عظيم في الثقة بالنصر الإلهي مقابل عدوان الشيطان الرجيم ومن طبّل له وزمّر، لكنّه ليس الوعد الوحيد، فكل المسيرة وعودٌ والتزامات ومواثيق ومواقف، وكلها صادقة لا خداع فيها ولا كذب ولا مساومات.

تحوّل الصدق إلى صفةٍ لصيقةٍ بحزب الله، اعترف بها الصديق والعدو،

وقد أعلن مسؤولون إسرائيليون وصحفيون صهاينة وتعليقات عفوية شعبية كثيرة عندهم، بأنهم ينتظرون ما يقوله سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله (حفظه الله) ليتعرفوا على الحقيقة، وهم يصدقونه أكثر مما يصدقون قادتهم، بل يصدقونه ولا يصدقون قادتهم، وهم محقّون في هذه النظرة.

الصدق ثمرة الإيمان، والسياسة الحكيمة هي السياسة الصادقة، والحديث المؤثر أثناء الخطابة هو الحديث الصادق، ومصارحة الناس بقضاياها وما يحيط بها هو النجاح الشعبي، والالتزام بالاتفاقات مع القوى والأحزاب والشخصيات له قيمة معنوية كبرى، فالحزب لم يخالف اتفاقاً، ولم ينكث عهداً أو وعداً، وتوضيح صعوبة ووعورة الطريق مع تبيان حجم الأخطار وعِظَمْ التضحيات يُبقي السائرين معنا إلى آخر الطريق على الحلو والمر.

الدعوة إلى الوحدة التزام لا عودة عنه، ورفض التبعية ومحاربتها لا يخضع للتقيّة، واستقلال موقف الحزب وحرية قراره دونهما كل التضحيات. لن نقول ما لا نؤمن به، لتكون كل الحقيقة أمام الناس، ليكونوا شركاء معنا في كل شيء لا أدوات، كما نستطيع أن لا نقول ما لا نريد قوله لكننا لا نكذب. كان الحديث علناً عبر وسائل الإعلام مراراً وتكراراً بأنّ الحزب جاهز للتصدي للعدوان، وهذا ما حصل، وهو سيبقى صادق الوعد مهما كلّفه ذلك، سيبقى مع وحدة لبنان وتحريره، وسيبقى قوياً صامداً أمام الأعاصير، وسينتصر دائماً للحق إن شاء الله تعالى.

صدر للمؤلف

- معالم للحياة من نهج الأمير(ع).
- عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة ثالثة).
- سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين(ع) (سبعة أجزاء):

١-حقوق الجوارح (طبعة سادسة).

٢- حقوق الوالدين والولد (طبعة سادسة).

٣- حقوق الأفعال (طبعة خامسة).

٤- حقوق الزوج والزوجة (طبعة سادسة).

٥- حقوق المعلم والمتعلم (طبعة خامسة).

٦- الحقوق الثلاثة (طبعة رابعة).

٧- حقوق الناس (طبعة رابعة).

- رسالة الحقوق بأجزائها السبعة مجموعة في علبة بتغليف فني.
- حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة رابعة).
- سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة رابعة).
- قصتي مع الحجاب (طبعة خامسة).
- الشباب شعلة تُحرق أو تُضيء (طبعة ثالثة).
- المهدي المخلِّص.

صدرت هذه الكتب عن دار الهادي- لبنان

• HIZBULLAH The Story From Within- SAQI-LONDON

• حـزب الله لبنـــــان -خط مشی ، گذشته وآینـــده آن

انتشـارات اطـلاعـات ، تهـــران.

تلفـاکس: -1 545800/ 01 (مفتـاح 00961)

HTTP://WWW.naimkassem.net-Email:info @ naimkassem.net